التحولات الفكرية الإسلامية المعاصرة، وأثرها على الشباب (دراسة تحليلية نقدية).

د.مرفت عبد الجبار عبد الودود سعد

أستاذ مساعد، قسم الدراسات الإسلامية، الكلية الجامعية بالقنفذة، المملكة العربية السعودية

Contemporary Islamic intellectual changes and their impact on youth: a critical analytical study

Dr. Mervat Abduljabbar Abdulwadoud Sa'ad

Assistant Professor, Department of Islamic Studies, Al-Qunfudhah University College, Saudi Arabia

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة بعض أسباب التحول الفكري وأسبابه بشكل عام، ومعرفة مدى الأثر الذي سيلحق الأمة الإسلامية بتغير الرموز فيها، خاصة على الشباب، وتوجيه الشباب للسبل الوقائية من الوقوع في دائرة الصراع الفكري الذي قد يلحقهم جراء تغير رموزهم، وتوضيح دور وسائل الإعلام في الحد من هذه المشكلة أو زيادتها، وذلك من خلال استخدام المنهج الاستقرائي: باستقراء ظاهرة التحول، وما يتعلق بها من مفاهيم، والمنهج التحليلي الوصفي: وذلك بوصف وتحليل الأسباب التي أدت إلى التحولات الفكرية، والمنهج الاستدلالي: وذلك بالاستدلال بنصوص الشرع من الكتاب والسنة وأقوال السلف وعلماء الأمة ومفكريها حول هذه المشكلة وما يتعلق بها، واستنتجت الباحثة عدة نتائج، من أهمها: ضرورة الاعتصام بالكتاب والسنة للحماية من مصائد المتغيرات المعاصرة، وأن الاعتصام بهما يمثل المنجى من التحولات الفكرية السلبية بشكل عام، وأن من أسباب التحولات الفكرية السلبية: ضعف الوازع الديني، وضعف التثقيف المبكر بأهمية الاعتصام بالكتاب والسنة، وأن الشباب صيدًا سهلًا للتحولات السلبية بسبب التربية الخاطئة المعتمدة على التبعية المطلقة والتلقي دون التشجيع على بناء الفكر والاهتمام برأي الشباب، وأنه من الضرورة التجديد في الخطاب الديني بما يوافق طموح وآمال

Abstract:

This article aims to address some of the features of the intellectual challenges that are faced by the contemporary Saudi family, be they related to legal or value systems. Family is the cornerstone of the community; it is the primary cultural vessel for its individual members. In fact, families in all communities without exception face many challenges that are related to knowledge, belief, arts, morality, laws, customs, traditions and values among others. Thus, this study tackles three significant issues that are of substantial importance both to the individual and the community as a whole, constituting the four topics of the study: the first topic addresses the intellectual estrangement, the second topic addresses the intellectual extremism, and the third topic addresses the intellectual moderation. Each topic was addressed from several perspectives, involving an overview of the features of each issue and its respective impact on both the individual and the community. The fourth topic reviews the role of the family in this ongoing confrontation with the various challenges from three vantage points, namely the intellectual point, the value-related point and the legal point.

الشباب، والقرب منهم وفهمهم لمحتواه، يساهم بشكل فعال في الأمن الفكري من شظايا الشُّبه والمغالطات الفكرية، وأن هناك فرقا بين الخطاب التجديدي من منظور أهل السنة، وما قد طبقة العلماء المجددون، وبين معنى التجديد لدى أرباب العلمنة والتغريب.

الكلمات المفتاحية: الشباب، الفكر، التحولات، الخطاب، الدين.

Keywords: Features, challenges, thought, contemporary family

المقدمة:

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على عبده وخيرة خلقه، خير من قام لله تعالى وبحبله اعتصم.. ثم أما بعد.

فإن الله تعالى علم في سابق علمه أن البشر يطرأ عليهم التغير والتحول، ولذا أمرهم سبحانه بالاعتصام بكتابه الكريم وسنة رسوله ﷺ في كل الأمور ومنها المتغيرات والنوازل التي تستجد في حياة الفرد أو الأمة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾ [النساء:٦٦] ، وامتثال كل ما جاء فيهما من تعاليم سامية شرعت للبشرية جمعاء، ولا يمكن بحال من الأحوال التدخل فيها بزيادة أو نقصان.

وفي هذا العصر، أصبحت التحولات الفكرية تشكل خطرًا على العقيدة؛ وذلك بتحول البارزين من قدوات ودعاة وأهل علم وطلبته، عن خطهم المعهود بالخير نحو الاتجاه المغاير والذي يصل في بعض الأحيان للإلحاد عياذًا بالله، والدعوات المعاصرة كالليبرالية، والتغريب، والتنوير.. ونحو ذلك، وكل هذا -ولا شك- سيكون له تبعاته على الأمة وعلى الشباب، وبخاصة أولئك الذين تأثروا واستفادوا واستناروا على أيدي القدوات البارزين في الأمة الإسلامية، فتحدث لهم المشكلات والصراعات المتعددة التي قد لا ترسو على شاطئ الفكر المتزن في بعض الحالات، وتهتز قناعاتهم، وتضطرب أحوالهم إلا من رحم الله تعالى وجعل الدليل هو غايته ونصب عينيه وإن حاد عنه من حاد.

وقبل البدء في الحديث عن التحولات الفكرية، تجدر الإشارة إلى حقيقة ظاهرة وملموسة في واقعنا المعاصر تتمثل في كثرة المقبلين على الخير، والمتحولين من الباطل إلى الحق من الجنسين، ولذلك نماذج وشواهد كثيرة، وإنما سيكون التركيز هنا على الظواهر السلبية؛ لأنها مدار البحث وموضع المشكلة.

وما دفعني للكتابة في هذا الموضوع هو الأثر الملحوظ من تحول هؤلاء القدوات على أنفسهم وعلى الأمة وعلى الشباب خاصة، وما يتبعه من ضرر على المعتقد في كثير من الأحيان.

ففي البداية يعد تحولهم عن المنهج الصحيح خسارة للأمة الإسلامية إذا كان هذا التحول تحولًا فارقًا، فضلًا عن بعض السلوكيات التي اعترت كثيرًا منهم، خصوصًا في الهجوم على ما كانوا عليه وعلى جهود المخلصين في الأمة؛ فيحملون بهذه التوجهات الجديدة لواء المحاربة للخير والإفساد في الأرض.

أهمية البحث:

إن الواقع المعاصر هو أكثر الأزمنة تأثرًا بالأفكار الدخيلة، بسبب الانفتاح الكبير الذي تشهده المجتمعات المسلمة بفعل احتكاكها بالمجتمعات الغربية، سواءً كان احتكاكًا مباشرًا كالهجرة أو الابتعاث الخارجي المتزايد، أو بفعل وسائل الاتصال الحديثة، خاصة الإنترنت ووسائل الإعلام الجديد والتي توفر سرعة انتشار الآراء وتداولها ومناقشتها والتأثر بها في بعض الأحيان.

ومثلها الأحداث الكبرى التي مرت وتمر بها الأمة، إضافة للتمسك بالثوابت التي تتصادم مع رغبات الغرب وتتهم فيها الأمة بشتى التهم، خصوصًا في ظل تعدد الأزمات؛ ممّا يكون له بعض التأثيرات على الآراء والأفكار لدى بعض أهل العلم الذين يقفون موقف المدافع والمبرر حينًا، أو المتنازل حينًا آخر، والمنسلخ أو المتأثر كليًا، وهذه غالبًا تأتي بعد عدة مراحل من الصراعات الداخلية، وليس بالضرورة أن يكون لها ضغط خارجي، وحدوث ظاهرة التحول لبعض الشباب خاصة إذا كانت الخلفية هشة لديه.

فكان لا بد من تناول هذا الموضوع بالدراسة والتحليل بعين الواقع.

ولا شك أن هذه التحولات سيكون لها تأثيرها على العقيدة بحسب طبيعة ونسبة ذلك التحول ونوعه.

وجاء التركيز على جانب الشباب لأهمية دور الشباب في المجتمع المسلم، فهم الأكثر عرضة للتأثر، والأكثر مساهمة وفعالية في المجتمع، وأكثر من تنصب جهود الحاقدين على الإسلام عليهم وصرفهم عن دينهم بشتى السبل.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في أمرين:

- الأول: لماذا يتحول عن المنهج الحق من تربى عليه وفي بعض الأحيان يصبح مهاجمًا له؟
- الثاني: هل الخطاب الديني يساهم في الحد من ظاهرة التحول أم يعد أحد أسباب ظهورها، وكيف ذلك؟

أهداف البحث:

١. توضيح أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة للحماية من مصائد المتغيرات المعاصرة.

٢. دراسة بعض أسباب التحول بشكل عام.

٣. معرفة مدى الأثر الذي سيلحق الأمة الإسلامية بتغير الرموز فيها، خاصة على الشباب.

٤. توجيه الشباب للسبل الوقائية من الوقوع في دائرة الصراع الفكري الذي قد يلحقهم جراء تغير رموزهم.

٥. توضيح دور وسائل الإعلام في الحد من هذه المشكلة أو زيادتها.

أسئلة البحث:

يجيب هذا البحث عن الأسئلة التالية:

- لماذا ندرس ظاهرة التحولات الفكرية وأسبابها، ولمَ لا يمكن أن نجعله من باب الحرية الشخصية كما هو حاصل عند الغرب؟
- متى يكون التحول طبيعيًا أو إيجابيًا ومتى يكون سلبيًا مذمومًا؟
- لماذا تحدث الانتكاسة والاضطراب الفكري لكثير من الشباب بعد تحول الرموز التي كانوا يرونها قدوة؟
- ما واجب العلماء والمفكرين ووسائل الإعلام تجاه هذه المشكلة والحد منها وحفظ المجتمع المسلم من تبعاتها؟

حدود الدراسة:

- **البعد الزماني**: سأقتصر فيه على التحولات الفكرية المعاصرة.
- **البعد المكاني**: تتبع أثر هذه المشكلة ونماذجها في المجتمعات المسلمة بشكل عام مع التركيز على التحولات في المملكة العربية السعودية.

منهج البحث:

- **المنهج الاستقرائي**: باستقراء ظاهرة التحول، وما يتعلق بها من مفاهيم.
- **المنهج التحليلي الوصفي**: وذلك بوصف وتحليل الأسباب التي أدت إلى التحولات الفكرية.
- **المنهج الاستدلالي**: وذلك بالاستدلال بنصوص الشرع من الكتاب والسنة وأقوال السلف وعلماء الأمة ومفكريها حول هذه المشكلة وما يتعلق بها.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتقصي وجدت دراسات متعددة الطرح، وفيها رسالة غير مباشرة في موضوع التحول الفكري لدى الشباب بعنوان:

- "التحول الفكري لدى الجماعة الإسلامية في مصر وأثره في ميزان الإسلام" – رسالة ماجستير بكلية الدعوة – جامعة الأزهر، مقدمة من الباحث: محمد إبراهيم محمد أبو عطية. ٢٠٠٤م

كما وجدت بعض الدراسات والأبحاث خارج نطاق الدرجات الأكاديمية؛ مثل:

١. تحولات الإسلاميين من لهيب سبتمبر إلى ربيع الثورات؛ للدكتور وليد الهويريني الطبعة الثانية دار البيان ١٤٣٣هـ.

٢. تحولات النخب د.محمد بن سعود البشر، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ

٣. التحولات الفكرية د.حسن بن محمد الأسمري مركز التأصيل للدراسات والبحوث، الطبعة الثانية ١٤٣٦هـ.

٤. الكتب الأربعة للمراجعات الفقهية للجماعات الإسلامية:

أ- مبادرة وقف العنف.. رؤية واقعية ونظرة شرعية (أسامة إبراهيم حافظ وعاصم عبد الماجد محمد).

ب- النصح والتبيين في تصحيح مفاهيم المحتسبين (علي محمد علي الشريف وأسامة إبراهيم حافظ).

جـ- تسليط الأضواء على ما وقع في الجهاد من أخطاء.

د- حرمة الغلو في الدين وتكفير المسلمين (ناجح إبراهيم عبد الله وعلي محمد علي الشريف).

٥. وأخيراً "نهر الذكريات.. المراجعات الفقهية للجماعة الإسلامية" (كرم زهدي وآخرون).

٦. "تحولات الفكر والسياسة" لمحمد جابر الأنصاري، ط. سلسلة عالم المعرفة – الكويت.

٧. مقدمة "العنقاء أو تاريخ حسن مفتاح" للويس عوض (خاصة المقدمة)، حول تحولات في قناعات لويس عوض.

وجميع الدراسات السابقة التي وقفت عليها قيمة ومثرية للمكتبة العربية والقارئ.

ولكن في بحثي هذا حاولت التركيز على عنصر الشباب وانعكاسات تحولات الرموز والقدوات عليهم وكذلك تحولاتهم الفكرية وأثرها على أفكارهم وأطروحاتهم فيما بعد، ومدى الخسارة التي يلحقها تحولهم في الأمة بترك نموذج هش لمن يتأثر بهم من الأجيال وغيرها من آثار.. بالإضافة لمحاولة الوقوف على أسباب هذه المشكلة وسبل علاجها بعد وقوعها...

خطة البحث:

البحث يتكون من مقدمة وتمهيد وأربع مباحث، وخاتمة.

المقدمة وفيها: أهمية البحث ومشكلته، وأهدافه وأسئلته، وحدود البحث ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد، وفيها التعريف بمصطلحات العنوان.

المبحث الأول: الفكر الإسلامي مصادره وخصائصه.

المبحث الثاني: التحول الفكري المعاصر أنواعه والعوامل المؤثرة فيه.

المبحث الثالث: أثر التحولات الفكرية على الإسلام والمسلمين.

المبحث الرابع: دور الخطاب الديني في الحد من التحولات الفكرية.

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد:

إن الحديث عن التحولات الفكرية يستوجب عناية ببيان معنى المصطلحات الواردة في العنوان: " التحولات الفكرية الإسلامية المعاصرة وأثرها على الشباب" في معناها اللغوي العام. وهي كالآتي: (التحول– الفكر– الأثر).

أ–التحول:

التحول في اللغة: حول الشيء: غيره أو نقله من مكان إلى آخر، وتحول تنقل من موضع إلى موضع، أو من حال إلى حال (١).

وتحوّل: أي حمل الحال، وهو ما يحمل على الظهر. وتحوّل عن موضعه وعن حاله: أي انتقل. وتحوّل: أي احتال، وفي المثل: «لو كان ذا حيلة تحوَّل» (٢). والاسم منه "الحِوَل" (٣).

وفي الاصطلاح–: يعد التحول تبدّلًا أساسيًّا في العقيدة، أو الاتِّجاه، أو الهيئة والشكل؛ يقال مثلًا: "كان لظهور الإسلام تحوّل خطير في حياة البشريّة"، أو "يتم تحوُّل الماء إلى بخار بتسخينه"، ومنه نُقْطة التحوُّل: وهي عامل مهمّ يطرأ على دولة أو فرد يقتضي تغييرًا محسوسًا في مجرى الأمور (٤).

وأستطيع أن أقول بعد ما تقدم: التحولات الفكرية عبارة عن مجموعة من التغيرات على الفكر، التي تتفاوت بين الخطورة التي قد تصل لتغير هوية الإنسان الدينية بالكلية وتصوراته وعقيدته وقناعاته سلبًا أو إيجابًا، وما يندرج في سلمها، وبين الإيجاب والاستزادة من الخير بحيث يضيف المرء لخبراته السابقة وتصوراته شيئًا جديدًا، يبني بها في الأمة ولا يهدم.

كما أن من مرادفات التحولات: المراجعات: وهو لفظ شائع لدى الوسط الإسلامي ويقصد به (التحول الذي عرفه التيار الجهادي؛ إذ أعلنت بعض فصائله بعد منتصف التسعينيات عن مبادرة وقف العنف وحقن الدماء، وشرعت في مراجعة العديد من المفاهيم والأحكام الشرعية التي كانت تتبناها في خطها الجهادي، سواء ما يتعلق بالجهاد، أو بالغلو في الدين أو ما يرتبط بالتكفير، أو ما يتعلق بأهل الكتاب والتعامل معهم) [٥].

ب-الفكر:

الفكر في اللغة: عرفه ابن منظور بقوله: الفِكر، والفِكَر: إعمال الخاطر في الشيء [٦].

وأيضًا: هو إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول، ويقال: لي في الأمر فكر: نظر وروية [٧].

وقال الفيروزآبادي: الفكر -بالكسر ويفتح- إعمال النظر في الشيء؛ كالفكرة [٨].

وفي الاصطلاح: قال التهانوي ما مختصره: الفكر -بالكسر وسكون الكاف- عند المتقدّمين من المنطقيين يطلق على ثلاثة معانٍ...

الأول: حركة النفس في المعقولات بواسطة القوة المتصرّفة؛ أيّ حركة كانت، أي سواء كانت بطلب أو بغيره، وسواء كانت من المطالب أو إليها...

والثاني: حركة النفس في المعقولات مبتدئة من المطلوب المشعور بوجه ما، مستغرقة فيها طالبة لمبادئه المؤدّية إليه إلى أن تجدها وترتّبها، فترجع منها إلى المطلوب، أعني مجموع الحركتين، وهذا هو الفكر الذي يترتّب عليه العلوم الكسبية ويحتاج في تحصيل جزئيه المادّية والصورية جميعًا إلى المنطق...

والثالث: هو الحركة الأولى من هاتين الحركتين؛ أي الحركة من المطلوب إلى المبادئ وحدها من غير أن توجد الحركة الثانية معها، وإن كانت هي المقصودة منها، وهذا هو الفكر الذي يقابله الحدس تقابلًا يشبه تقابل الصاعدة والهابطة.

ويرادف الفكر: النظر في القول المشهور. وقيل: الفكر هو الترتيب والنظر ملاحظة المعقولات في ضمنه [٩].

وباختصار فالفكر هو: إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول [١٠]. أو كما قال الشيخ أحمد الدمنهوري: "الفكر: حركة النفس في المعقولات" [١١]، هذا لدى القدماء.

أما لدى المحدثين فهناك عدة تعريفات للفكر منها:

١. "وجملة القول إن الفكر يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أو يطلق على المعقولات نفسها؛ فإذا أطلق على فعل النفس دل على حركتها الذاتية، وهي النظر والتأمل، وإذا أطلق على المعقولات دل على المفهوم الذي تفكر فيه النفس" (١٢).

٢. "الفكر اسم لعملية تردد القوى العاقلة المفكرة في الإنسان، سواء أكان قلبًا أو روحًا أو ذهنًا بالنظر والتدبر؛ لطلب المعاني المجهولة من الأمور المعلومة، أو الوصول إلى الأحكام أو النسب بين الأشياء" (١٣).

٣. "النتاج الأعلى للدماغ كمادة ذات تنظيم عضوي خاص، وهو العملية الإيجابية التي بواسطتها ينعكس العالم الموضوعي في مفاهيم وأحكام ونظريات... والشرط الجوهري لأي نشاط آخر، طالما أن هذا النشاط هو نتيجته المجملة والمتمثلة، والكلام هو صورة الفكر" (١٤).

٤. "والفكر في المصطلح الفكري –والفلسفي خاصة– هو الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أي النظر والتأمل والتدبر والاستنباط والحكم، ونحو ذلك. وهو كذلك المعقولات نفسها، أي الموضوعات التي أنتجها العقل البشري" (١٥).

ج– الأثر:

الأثر في اللغة: العلامة ولمعان السيف، وأثر الشيء بقيته، وجاء في أثره: في عقبه، وما خلفه السابقون، والخبر المروي والسنة الباقية (١٦).

قال الجرجاني في التعريفات: الأثر له ثلاث معانٍ:

الأول بمعنى النتيجة، وهو الحاصل من الشيء، والثاني بمعنى العلامة، والثالث بمعنى الجزء، والآثار: هي اللوازم المعللة بالشيء (١٧).

وفي الاصطلاح: يختلف باختلاف أهل كل فن؛ فمثلًا الأثر عند علماء الحديث هو: "الخبر المروي والسنة الباقية" (١٨)؛ باعتبار أن الأثر –بعامة– هو ما خلفه السابقون.

وقال ابن العربي: الأثر ما يبقى بعده من عمل يجري عليه أجره من بعده؛ ومنه قوله ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ [يس: ١٢]، وقال غيره: الأثر ما يبقى من رسوم الشيء، وحقيقته ما يدل على وجود الشيء (١٩).

المبحث الأول: الفكر الإسلامي مصادره وخصائصه:

يأتي الحديث عن الفكر الإسلامي لأنه المدار الذي تدور حوله التحولات والمركز الذي تحدث فيه، ويقاس من خلاله مدى القرب والبعد عن جادة الفكر الإسلامي، من التغريبي ونحوه.

أولًا: التعريف بالفكر الإسلامي:

مصطلح الفكر الإسلامي من المفاهيم التي راج استعمالها في الأدبيات المشكلة للخطاب العربي والإسلامي المعاصر، وهو بذلك: مجموعة من الموضوعات التي تخاطب العقل البشري، والتي تدفعه إلى إعمال النظر والتأمل والتفكر والاستنتاج والبحث فيما يتعلق بعلوم الشريعة وقضايا العقيدة والقيم والاتجاهات الحضارية والاجتماعية، وبقضايا العلوم التجريبية، وغيرها، كل ذلك من وجهة نظر إسلامية مؤسسة على خليفة عقدية ثابتة.

وقد عرّف كثير من علماء المسلمين الفكر الإسلامي بعدة تعريفات متباينة الوصف متشابهة الفكرة؛ فالإسلامي في اللغة: هو المنسوب إلى الإسلام. ومن الخطأ أن ينسب كل ما أنتجه المسلمون إلى الإسلام نفسه. فإن كل فكر بشري نتج عن فكر مستقل، ولم ينطلق من مفاهيم الإسلام الثابتة، القاطعة في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة؛ لا يمكن وصفه بأنه فكر إسلامي؛ لأن قولنا "فكر إسلامي" يعني وصفنا إياه بصفة الإسلامي، وليس من المنطق السليم أن يحسب فكر ما على الإسلام، وهو ليس بإسلامي، بل نصفه بأنه فكر عام لم ينطلق من الإسلام، وإنما انطلق من أديان وعقائد ومناهج أخرى، تقترب من الإسلام حينًا، وتبتعد عنه أحيانًا أخرى [٢٠].

على كل عرف بعضهم "الفكر الإسلامي" –اصطلاحًا– بأنه: "كل ما أنتجه فكر المسلمين منذ مبعث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى اليوم، في المعرفة الكونية العامة المتصلة بالله سبحانه وتعالى والعالم والإنسان.

وهو كذلك ما أفرزه فكر المسلمين في ظل الإسلام من أفكار اجتهادية بشرية من الفلسفة والكلام والفقه وأصوله والتصوف والعلوم الإنسانية الأخرى" [٢١].

كما عرفه آخر بأنه: "نتاج التأمل العقلي عن نظرة الإسلام العامة للوجود، والمتوافق مع قيم الإسلام ومعاييره ومقاصده. فقولنا "نتاج" يبيّن أن المقصود هو حصيلة التفكير، وقولنا "التأمل العقلي" يشير إلى أنه اجتهاد بشري قابل للخطأ والصواب، وقولنا "المنبثق عن نظرة الإسلام العامة إلى الوجود"، يفيد أنه لابد أن يكون مرتكنًا إلى كليات الإسلام الأساسية وصادر عنها، وقولنا "المتوافق مع قيم الإسلام ومعاييره ومقاصده" احتراز في موضعه لتصحيح ما يمكن أن يقع من خط في التأمل العقلي" [٢٢].

كما عرفه د.السيد الشاهد: هو كل ما ألفه علماء المسلمين في شتّى العلوم الشرعية وغير الشرعية، بغض النظر عن ارتباط هذا النتاج الفكري بأصل العقيدة الإسلامية، والأصل في نسبة هذه العلوم (هذا

الفكر) إلى الإسلام هو انتساب مؤلفيها إليه، وانطلاقهم من تصور إسلامي صحيح من وجهة نظرهم الشخصية على الأقل [٢٣].

وخلاصة ما تقدم: أن الفكر الإسلامي هو الحصيلة المعرفية التي يتلقاها العقل من مصادر المسلمين الأصلية الكتاب والسنة والإجماع والاجتهاد والقياس، إضافة لخلاصة العلوم والمعارف التي تشربها من مصنفات العلماء المراعية للأصول الثوابت، ونسبة بعض الأفكار غير المعتمدة بشكل كامل على مصادر التشريع الإسلامي وأقوال العلماء الربانيين آتية من نسبة أنفسهم إليه ولو لم يكونوا من أهله، كما يتسع الفكر الإسلامي ليشمل كافة الإبداع المعرفي والإنتاجي لغير العلوم الشرعية من المسلمين أصحاب الهوية الراسخة المعتزة بدينها أو الإنجازات الضخمة في شتّى المجالات مادام صاحبها ينتسب للإسلام مع مراعاة التصنيف المستحق لكل صاحب بدعة أو ضلالة ليفرق المسلمون بين هذه النسبة والأصالة الإسلامية.

ثانيًا: مصادر الفكر الإسلامي:

يستند الفكر الإسلامي في مرجعيته؛ لمصادر التشريع الأساسية وهي: القرآن الكريم الذي هو كلام الله تعالى المنزل على رسوله ﷺ بواسطة جبريل، المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سورة منه. [٢٤]

وهو المصدر الأساسي للفكر الإسلامي بفضل ما ورد فيه من تعاليم دينية وأخلاقية واجتماعية وغيرها، ولكونه صالحًا لكل زمان ومكان ومسايرًا لمتطلبات كل عصر ومستجداته.

والسنة النبوية -على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم- وهي: كل ما أُثر عن الرسول ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خِلْقيّة أو خُلُقيّة. [٢٥]

وكما أن القرآن وحي فكذلك السنة النبوية، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم:٣-٤]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء:٦٥]

والقرآن والسنّة مصدران للفكر الإسلامي متلازمان، ولا يمكن لمسلم أن يفهم الإسلام إلا بالرجوع إليهما معًا، باعتبارهما المعين الأساس للعلوم الإسلامية واللغة العربية، والمرجعَ الذي يهتدي به المسلم في بحثه عن الحقائق في جميع المجالات، وفيما يتعلّق بالفكر والواقع والنظر والسلوك.

وكذلك الإجماع: وهو اتفاق العلماء بعد وفاة الرسول ﷺ في عصر من العصور على حكم شرعي، وإذا خالف عالمٌ معتبر واحد لا ينعقد الإجماع. [٢٦]

وكذلك القياس: وهو إلحاق أمر بآخر في الحكم الشرعي لاتحاد بينهما في العلة، والقياس يأتى في المرتبة الرابعة بعد الكتاب والسنة والإجماع.

وكذلك ثمرة الاجتهاد الإســـلامي: وهو بذل الجُهد في اســـتنباط الحكم الشـــرعي العملي من أدلته التفصيليّة. (٢٧)

ونشط الاجتهاد في عصر الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، رضي الله تعالى عنهم، وقد حفظ لنا التاريخ أسماء الكثير منهم.

وفي يومنا هذا: هناك المجامع الفقهية الإسلامية التي تقام سنويًا، ومنها التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة والذي يهدف إلى شد الأمّة الإسلاميّة لعقيدتها ودراسة مشكلات الحياة المعاصرة والاجتهاد فيها اجتهادًا أصيلًا؛ لتقديم الحلول النابعة من الشريعة الإسلاميّة، وأعضاء المجمع من الفقهاء والعلماء والمفكرين في شتّى مجالات المعرفة الإسلاميّة من شتّى الأقطار، ويشترط في العضو أن يكون ملتزمًا بالدين الإسلامي عقيدة وسلوكًا، وأن يكون واسع الاطلاع في العلوم الإسلاميّة عامة والشريعة بوجه خاص، فضلًا عن معرفته بواقع العالم الإسلامي، متمكنًا من اللغة العربية.

وكذلك من مصادر الفكر الإسلامي: المصادر الفرعية مثل: الاستحسان: وهو العدول عن قياس جلي إلى قياس خفي لعلة، أو استثناء مسألة من أصل كلي أو قاعدة عامة لدليل يقتضي هذا العدول،(٢٨) والمصالح المرسلة: وهي المصالح التي لم يشرع الشارع أحكامًا لتحقيقها ولم يقم دليل معيَّن على اعتبارها أو إلغائها،(٢٩) وكذلك سد الذرائع: الذرائع تسد وتمنع إذا كانت تفضي إلى الفساد، وتفتح إذا كانت تفضي إلى المصالح. (٣٠)

وكذلك العرف: وهو ما اعتاده الناس وســـاروا عليه في أمور حياتهم ومعاملاتهم من قول أو فعل أو ترك(٣١)

وكذلك الاستصحاب: وهو الحكم ببقاء الشيء على ما كان عليه في الماضي حتى يقوم الدليل على تغييره. (٣٢)

بالإضافة إلى إبداعات التراث الإنساني السليم: وهي مجموع ما خلفته البشرية على مر العصور من ثقافة وحضارة وعلوم ولم تتعارض مع الإسلام، ويُستنتج من هذا كلّه أن الفكر الإسلامي يختلف عن غيره؛ فالفكر الإسلامي رباني المصدر: يستمدّ كيانه من القرآن الكريم والسنة، واجتهادات العلماء، بينما نجد الفكر الغربي على وجه الإجمال: يستمدّ مصادره من الفكر اليوناني، والقانون الروماني، واللغة اللاتينية، وتفسيرات المسيحية التي وصلتها.

ولقد وازن الفكر الإسلامي بين جوانب العقل، وجوانب الوجدان، ورفض إعلاء المعتزلة للعقل، وإعلاء الصوفية للوجدان، وحافظ على المفهوم المتكامل الجامع.

وعندما يكون المصدر الأساسي في الفكر الإسلامي مستند للمشرع وهو الرّب سبحانه وتعالى فإن ذلك يعني:

١-انسجام هذا الفكر مع الفطرة؛ لأنّ الذي خلق هو الذي أنزل سبحانه وتعالى، وأي خروج على مبادئ الدين يعني التناقض مع الخلق؛ ممّا يؤدي إلى حدوث الخلل، فعندما نخالف أوامر الصانع البشري – على سبيل المثال– الذي أرسل إلينا بما يُسمى بـ (دليل الاستخدام)، فبمخالفة قوانينه البشرية يحدث الخلل، فكيف عندما يكون الصانع هو الخالق سبحانه وتعالى الكامل في قدرته وعلمه وحكمته؟!.

٢- استناد هذا الفكر إلى الحقيقة المطلقة؛ ممّا يجعله الأقرب إلى الصواب، والأبعد عن الخطأ والزلل.

٣- قوة فعل هذا الفكر في المجتمعات؛ لاستناده إلى الإيمان، حيث لا سلطة على الضمير إلا الدين. وواقع الناس يثبت أنّ الإيمان بالله تعالى هو من أقوى دوافع الالتزام على مستوى مجموع البشر [٣٣].

ثالثًا: خصائص الفكر الإسلامي:

للفكر الإسلامي خصائص متعددة منها:

الربانية: وذلك في اتباعه للمنهج الرباني، فالفكر الإسلامي ملتزم بمعالم الطريق إلى الله تعالى حيث يهدي إلى الله تعالى سواء كان سلوكًا أو اعتقادًا؛ لتنتفي عنه بذلك صفة الهوى وعدم الموضوعية حيث يعتبر الفكر تفقه للشريعة الإسلامية.

الثبات: وهي خاصية ملازمة للفكر الإسلامي، فثبات المصادر والأصول تنعكس على الفكر الإسلامي لتجعله فكرًا ثابتًا، مثالها: تصوره عن ثبات الحقائق التي لا تقبل الأخذ والرد كحقيقة وجود الله سبحانه وتعالى، وأن الكون بما فيه من خلقه تعالى، وحقيقة الإيمان بالله تعالى وأركان الإيمان والإسلام، كل هذه الحقائق ثابتة ولا تقبل أي تغيير أو تبديل.

وهذه الخاصية: تعصم الفكر الإسلامي من الانحراف وتعصم المسلمين من الانحطاط في المعتقد، يقول الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم: ٣٠] .

الشمول: شمول الفكر الإسلامي إنما يعبر عن شمول الإسلام كنظام للحياة، يفي بمتطلبات الحياة في مجال العقيدة والاقتصاد والسياسة والقانون وسائر متطلبات الحياة المجتمعية، هذه المجالات جميعها يغطيها الفكر الإسلامي.

التوازن: خاصية التوازن في الفكر الإسلامي هي التي تجعله فكراً لا يجنح إلى أحد طرفي النقيض؛ فهي توازن بين مصادر المعرفة من وراء الغيب والشهادة بحيث تجعل المسلم لا يشتط في استيعابه لعالمي الغيب والشهادة، وعن طريقها يتوازن المسلم بين الخوف والرجاء فهو كما يقرأ قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾ [البقرة:١٩٦]، يقرأ ويوازن عندما يقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج:٦٥].

وعن طريق التوازن أيضًا: يعبد المسلم ربه بعيدًا عن التطرف والرهبانية أو إهمال ما يجب أن يقوم به من تكاليف، والتوازن في الإنفاق حيث ينفق المسلم وهو يراعي جانب الاتزان كما قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

الواقعية: أي فكر لا يتفاعل مع الواقع هو بالضرورة فكر لا مجال له في عالم التطبيق. لذلك كان الفكر الإسلامي واقعيًا يعبر عن الوجود بواقعية على مستوى الكون المرئي، كما أن نظام العبادة هو الآخر واقعي يستطيع البشر ممارسة العبادة خلافًا لبعض الشعائر المثالية التي يعجز البشر عن أدائها، وإن الله تعالى لا يكلف نفسًا ألا وسعها ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. (٣٤)

المبحث الثاني: التحول الفكري المعاصر أنواعه والعوامل المؤثرة فيه:

أولًا: أنواع التحول الفكري:

التحولات في ذاتها ظاهرة طبيعية فطرية في الإنسان قد تتجاوز حدها الطبيعي إذا أدت إلى الانغلاق، أو التطرف، أو أدت إلى الانفتاح الذي لا يراعي المبادئ المرعية والقيم الشرعية.

ولقد أدرك السلف الصالح -رحمهم الله تعالى- خطورة التحول بشكل عام على الفكر والأمة، فجاهدوا أنفسهم كثيرًا لتجنب هذا الدرب، وقد كثرت أقوالهم في التحذير منه، ومن التبدل والتلون.

فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أستعاذ من "الخور بعد الكور"،(٣٥) (أي الرجوع من الإيمان إلى الكفر أو من الطاعة إلى المعصية، أو النقصان بعد الزيادة) (٣٦)

وقال عمر بن الخطاب، رضي الله تعالى عنه: "الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعالب" (٣٧)، ولما حضرت الوفاة حذيفة -رضي الله تعالى عنه- دخل عليه أبو مسعود فقال له: "اعهد إلينا فقد كان رسول الله ﷺ يحدثك بأحاديث، قال: أوما أتاك الحق اليقين؟ قال: أعلم أن من أعمى الضلالة أن تنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلون في دين الله فإن دين الله واحد".(٣٨)

وتنقسم التحولات الفكرية إلى عدة أنواع، سواءً كانت تحولات إيجابية أو سلبية بين تحول كلي وتحول جزئي، ولكل نوع من التحولات مظاهر وأسباب وآثار في الواقع وهو ما تعرض له في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: أنواع التحول الفكري ومظاهره:

ونستعرض أنواع هذا التحول:

أولًا: التحول السلبي ومظاهره:

يقصد بالتحول السلبي التغيرات الفكرية المتباينة في اتساعها وحدتها، فبعضها تأول فيها أصحابها آراء خالفوا فيها أصولًا شرعية مستقرة، وبعضها الآخر تبنى الفكر الليبرالي بشكل ظاهر، وفئة ثالثة قامت بتوظيف حصيلتها الشرعية ومركزها الوظيفي لدعم الهجمة على المنهج السلفي بمؤسساته الشرعية ورموزه العلمية. (٣٩)

والفاجعة القاصمة: تكمن في ذلك التحول الكلي أو الجزئي المريع الذي يجعل من الشخص ذا عقل مستأجر وثقة متذبذبة، تستشرب كل ما هب ودب وتجعل من الغير (فكرًا، رؤى... إلخ) صورة تكاملية مثلى عما هم عليه، فيتضح هنا معنى الهشاشة الكبرى في نفوس هؤلاء، وهو بعينه التحول السلبي.

والعجيب أن القوة الكاملة والثقة التامة تأتي بعضهم عند تحولهم في دفاعهم عن هذا التحول أو المنهج الذي تحولوا إليه، لكنها لا تستمر طويلًا إذ هو حماس وقتي؛ لأن تاريخهم الطويل قبل التحولات كثير ما يشهد عليهم بالتذبذب الملحوظ، وربما بلغوا في هذه التحولات الفكرية مبلغاً طاغيًا خاصة عندما يتحولون لسهام مسلطة على نهجهم القديم أو بلدهم أو علمائه ومثقفيه.

ومن مظاهر التحول السلبي:

١. التحول من إسلامي إلى إنساني:

وهؤلاء الذين تشربوا الثقافات الغربية الليبرالية والعلمانية مع وجود خلل في أصل تمسكهم بالإسلام، فلم تكن النشأة متينة على تعاليمه في الأصل، أما من كان ذا جذور وهوية إسلامية وتبنى هذه المصطلحات فهي بفعل تبني المواقف المعاصرة من إنسانية ونحوها بدعوى التعايش وفهم الآخر.

ومن أبرز طرقهم: نقد المؤسسات الدينية والعبارات المتداولة عنها أنها "مختطفة"، ونقد موضوعات اجتماعية وبخاصة فيما يتعلق بالمرأة بـ"ارتباط نقدهم بعبارات العرف"، نقد أصول دينية وأداتهم في ذلك: "التفسير الأحادي"، نقد الدعاة وأهل الدعوة وأداتهم "السلطة أو المصلحة".

٢. التحول من التعبد إلى التخلق:

إن العبادة مطلب سامٍ يتفق مع صحة العقيدة، بل هي الغاية التي خلق لأجلها الإنسان؛ لكن تسرب الإهمال تجاه العبادة ووقع انقلاب بين مفهوم التعبد والتخلق وما يندرج تحته من مفاهيم كالعصرنة والتسامح والحوار، ومن هنا ظهر دعاة ليس عليهم معالم الهدي النبوي في المظهر وتميزوا بالأسلوب القصصي حول الأنبياء عليهم السلام، أو الصحابة رضي الله تعالى عنهم، أو الصالحين من الأمم الماضية، أو من الأمة الإسلامية، أو مشاهير العصر، ويبرزون صورًا معينة لأصحاب هذه القصص يغلب عليها جانب التخلق.

وهم بلا شك أصحاب تميز في عدة جوانب ومنها نشاطهم في التأثير على كثير من الناس، إلا أن الخلل حصل في أنهم أغفلوا جانب التعبد، وأصبح من يهتم بالجانبين معًا يقتصر على الاهتمام بالتخلق؛ وبالتالي ضعف الهمة وتغليب جانب الثانويات على الأولويات وهو اتباع السنة.

٣. التحول من السنة إلى البدعة:

وهذه الفوضى حصلت مع كثرة خروج كتب المبتدعة وبروز دعاة البدع عبر الوسائل التقنية، ووصولهم لكل أحد، ومن أشهر أمثلتها: ما نجده من أقوال شنيعة في التكفير لعلماء الشريعة فضلًا عن عامة المسلمين، وقد كان هذا المفكر محسوباً في يوم من الأيام على الجهاد الصحيح، والدعوة السلفية، والاتجاه الإسلامي السني، ومن الأمثلة أيضًا التلبس بحال أهل الكلام في مواقفهم التحريفية لصفات الله تعالى، أو بعض أقوالهم في حقيقية الإيمان والذهاب بعيدًا مع قول أهل الإرجاء.

وأيضًا: الخطاب الذي عرف به أدعياء السلفية في التشديد على الناس وتصنيفهم، بل ووقوع الخلاف في صفوفهم أنفسهم، واتهام بعضهم بعضًا، وفي المقابل نجد منهم تساهلًا مع بعض البارزين من الخاصة والعامة من المسئولين وغيرهم، وبلا شك هذا مسلك بعيد عن هدي النبي ﷺ.

٤. التحول من النشاط إلى الفتور:

الفتور من الأمور العارضة للإنسان خاصة بعد النشاط في أمر ما، عبادة، دعوة، علم... إلخ، وقد قال ﷺ: (إن لكل عمل شرة، ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك) (٤٠).

وعلاقته بالتحولات الفكرية أنه إذا تطور من ترك الواجب إلى الوقوع في المحظور والركون إلى الدنيا والافتتان بها، فإنه سيفتح الباب على مصراعيه لتقبل الأفكار المغلوطة؛ ومن ثم التحول تدريجيًا بحكم العادة.

٥. التحول من المروءة إلى الأمعية:

والإمعية وصف لمن يفقد القدرة على اتخاذ القرار المناسب؛ فهو فاقد للرأي، أو فاقد للعزيمة، فأي تيار قوي جذاب وناجح وله دعاية تجد الإمعة ينقاد له، والحديث هنا عن الإمعية المذمومة وليس عن التكيف

المناسب مع مستجدات الحياة والتغيرات الاجتماعية، وإنما عن فقدان الشخص للرأي الصحيح والإرادة [٤١].

٦-الدعوة لإقليمية الدعوة السلفية:

بسبب الهجوم الذي تفننت فيه وسائل الإعلام تجاه الدعوة السلفية برزت العديد من الأصوات التي تحاول تحجيمها وحصرها في القطر النجدي، ولا شك أن كل دعوة بشرية تجدد معالم الدين لا يمكن أن ينفك أفرادها عن البيئة السياسية والاجتماعية التي نشؤوا فيها، ومنها دعوة الشيخ محمد رحمه الله تعالى، فالمشرب الفقهي لعلماء الدعوة المتمثل بمذهب الحنابلة لا بد أن يجد طريقه وتأثيره وتمظهراته في سلوك المجتمع.

لقد حاول خصوم الدعوة السلفية إعادة قراءة تاريخها بأدوات خصومها من الخرافيين والشيعة، وتصويرها بأنها دعوة إقليمية، ومنتج ثقافي مرتبط بالبيئة النجدية ولا علاقة له بالكتاب والسنة إلا بوصفه فهمًا شاذًا للنصوص الشرعية.

والمصيبة أن مثل هذه الدعاوى والهجوم يصدر ممن تربوا في حياض الدعوة نفسها ونهلوا منها، فأصبحوا أعوانًا لليبرالية بهذه الاتهامات.

والمصيبة الأخرى أن تلك الدعاوى تستهدف قيم الإسلام السائدة في المجتمع، وتحطيم الحواجز النظامية والمجتمعية التي تحول بين الاختلاط بين الجنسين، وشيوع ألوان الانحرافات الفكرية والسلوكية، وهذا النهج ساهم في استمالة كثير من المتحولين والليبراليين الذين حركتهم النوازع البشرية التي لا يخلو منها مجتمع [٤٢].

وهو ما يستوجب جهوداً جبارة في محاربة أهل الأهواء ومن يتكلمون باسم الدعوة السلفية من باب الخبرة بها -كما يدعون- للطعن فيها والنيل من قيمتها الشرعية المستمدة من الكتاب والسنة.

قد نفهم الخلاف الفقهي بين مذهب معتبر وقضايا معينة في دعوة الشيخ محمد رحمه الله تعالى، ونعرف الميزان الذي يحرك هذا الخلاف أنه خلاف يصب في مجال الاجتهاد والخلاف الشرعي المعتبر، وقد نفهم بعض الرؤى التاريخية المتباينة حول جوانب معينة من السير التاريخي لطريقة تكون الدعوة؛ لكننا لا نفهم أي قول ولا نظن أي حسن نية من المتحولين الذين يمارسون التحجيم والاتهام لهذه الدعوة، ومحاولة تشويهها ووصمها بالإقليمية وتسفيه ما فيها من قيم عليا من توحيد وتحذير من الشرك وتصحيح لعقائد الناس وقيم مجتمعية عليا منبعها الكتاب والسنة.

٧-تمييع الخطاب الإسلامي الحر:

طوال فترة الصراع الليبرالي الإسلامي، سجل الإسلاميون الغلبة الكاسحة في إفحام الليبراليين بالمناقشة والمحاورة أو المناظرة والمكاشفة، بل حتى المناصحة، ووجدنا من الإسلاميين وحدة الصفوف على مستوى العلماء والدعاة وطلاب العلم وعامة الناس والمحبة للخير بشكل عام ومساهمة الجميع في تعرية الخطاب الليبرالي، ولم نجد لخصومهم الليبرالين قائمة تذكر إلا في مجال المنابر التي تلمع من وجودهم، بل حتى من برز منهم بالتفوه والمناورة الكلامية لا يتجاوزون عدد أصابع اليد؛ وذلك لطبيعة البلدان الإسلامية وأصل الخيرية في النفوس لدى الناس، ففي المملكة -على سبيل المثال- نجد أن طبيعة هذا الصراع قامت في بلد مرجعيته على أحكام الشريعة، فمن المستحيل أن يجد المتحول وزمرته سبيلًا ينفذ من خلاله للغلبة والإقناع الكاسح، وبخاصة أن وجهاتهم تقوم على الهوى البحت والمغالطة الفكرية.

(ومن أطرف ما يمكن إيراده هنا ما كتبه أحد الصحفيين في صحيفة محلية منتقدًا أحد كبار العلماء وهو فضيلة الشيخ صالح الفوزان؛ لأنه سجل ٨٣ شريطًا عن العدة، وقد ظن الكاتب الصحفي -الذي يستضاف في إحدى القنوات الفضائية خبيرًا للحركات الإسلامية!! - أن كتاب (العدة في شرح العمدة) الذي يضم بين دفتيه أبواب الفقه كافة في العبادات، والمعاملات، والحدود، مختصًا بأحكام عدة النساء) [٤٣].

ومثلها العديد من اللقاءات والمقالات التي تكشف مدى ضحالة فكر المتحولين للتيارات الليبرالية مثالها المناظرة الشهيرة بين الشيخ سليمان الدويش وأحد المتحولين الذي كان ينتمي لتخصص شرعي، وكيف كانت المناظرة عبرة لمن هم على طريقته [٤٤].

وهو ما يكشف بشكل عام: جهل عموم المتحولين والليبراليين بأبسط بدهيات العلم الشرعي لدى عموم المسلمين.

ومما يؤسف له دخول بعض الإسلاميين على الخط الليبرالي في محاولة لاحتوائهم وتقبلهم تحت إطار تقبل الآخر، والتعايش، والإنسانية، وغيرها من مصطلحات، وهو ما ساهم في ردات فعل مضطربة لدى بعض الشباب تجاه قدواتهم ربما قادت لتحولهم في أبسط الأحوال لخط قدواتهم الجديد.

كما أفرز هذا الاتجاه الجديد بروز بعض الأسماء التي لم تكن تعرف في الساحة العلمية والدعوية لتتبنى بشكل واضح عددًا من المشروعات التغريبية، ولكن سرعان ما خبا بريقها بسبب تزلفها وتعجلها من جهة، وبسبب استنفاد دورها من جهة أخرى؛ حيث اكتشف ضعف مصداقيتها لدى المجتمع.

٨-الزمرة التنويرية:

وهم مجموعة ممن نشأ في الأصل في محاضن الصحوة الإسلامية والدعوة، وكانت لبعضهم تخصصاتهم الشرعية ومنطلقاتهم المتزنة، فبرزت التحولات فيهم للساحة الفكرية والإعلامية في مرحلة ما بعد١١ سبتمبر، وعرفها أحد رموزها بأنها: (مجموعة من الشخصيات كانت لها خلفيات ثقافية مختلفة، ولكنها تقاربت بسبب الاشتراك في مجموعة من القناعات والرؤى وتوافقها في الممارسة النقدية للفكر السلفي؛ لذا هم لا يعملون وفق أجندة مشتركة بقدر ما يصب نشاطهم الثقافي غالبًا في اتجاه واحد، ولا شك أن بين هذه الشخصيات فروقات واختلافات عميقة أحيانًا في كثير من القضايا) (٤٥).

وهذا التعريف يظهر التباين بين هذه الفئة، فبعضهم يميل لليبرالية والبعض الآخر يكون قريبًا من السلفيين، وهي فروق ذاتية وليست موضوعية، فهم يتفقون في قضايا معينة كالتجديد، والحرية، وذم التشدد وضرورة التعايش... إلخ، فهم يتفقون على أصولها ولا يدققون في تفاصيلها، وغالبية خطابهم يركز على هذه القضايا.

والتيار التنويري في السعودية ظهر في ظل الانفتاح الإعلامي في منتصف تسعينيات القرن الماضي، كما يرجح بعض المتابعين؛ وذلك مع كثرة وتعدد طرح موضوع الغلو والإرهاب خاصة بعد حادثة ١١ أيلول سبتمبر وما عقبها من تداعيات.

وأشبه وصف ينطبق على التنويريين السعوديين المعاصرين أنهم " معتزلة جدد"، على الرغم من أن المعتزلة متمسكون بأصولهم ولهم منطلقاتهم وانتماؤهم العام للأمة، بينما دعاة التنوير في المجتمع السعودي فرق شتّى يردد هذه اللفظة منهم العلماني والليبرالي واللاديني، بل لم تبقَ مجموعة مخالفة لأمر الله وشرعه إلا وادعت أنها تنويرية!

نعم هناك تنويريون إسلاميون حذوا حذو منهج أرباب التنوير الإسلامي العام، قسم منهم له شبهاته وادعاءاته ويتلبس بالإسلامية ليدس فيها ما لا يستطيع إعلانه إلا باسم الدين، والقسم الآخر له جهوده ونشاطه فهو يحمل النية الحسنة المتبوعة بالفعل والقول الحسن التي في مجملها لا تتصادم مع الثوابت الإسلامية.

وقد عرف التيار التنويري في السعودية بأطروحاته التي تنادي بمراجعة التراث وتجديد الخطاب الديني وإعادة قراءة الفلسفة وأسلمتها، وطرح بعضهم نفسه كناقد لتيارات العنف والتطرف، كما يسميها.

وأبرز تلك النشاطات في محاربة السلفية التي تأتي ممن خرجوا من المدارس السلفية نفسها مع الأسف، ونشأ فكرهم فيها، فساعدهم هذا التكوين في تبرير النشاط لمحاربة السلفية مدعين أنهم أحق الناس بنقد السلفية كون تاريخهم يشهد لهم بتعايشهم فيها.

وهي دعوة كاذبة كون سلفيتهم السابقة -كما يدعون- لم تكسبهم مناعة ضد متاهات الضلال، بل يشهد الواقع الاجتماعي السعودي أن من يسمون أنفسهم تنويريين سعوديين تاريخهم السلفي ممتلئ بالتطرف والصدامية وإقصاء الآخر، وكلامهم لا يمت للسلفية بصلة.

(دونك أمثلة على ذلك: أحد الذين تحدثوا في إحدى الحلقات التلفزيونية يقدم نفسه على أنه من مبشري التنوير له مقالة يؤيد فيها رأي الدكتور محمد عابد الجابري في القول بنص القرآن، وشخص آخر كتب في بحث له رأيًا عجيبًا خلص فيه إلى القول بجواز قيام تكتلات ومجموعات تطعن في النبي ﷺ وتحرض عليه وتقع فيه بالتنقص والثلب مستدلًا على جواز ذلك بحال المنافقين في زمن النبيﷺ! وثالث كتب في صحيفة الرياض مصرحًا بأن المسلمين يواجهون أزمة على المستوى السيكولوجي خاصة، فهم قد جاءوا من خلفية ثقافية خلقت فيهم وعيًا زائفًا أنهم وبمجرد الهوية الخاصة هم الأفضل والأكمل، وهذا الشخص يقدم نفسه على أنه من رواد التنوير ومن خلفية صحوية! وآخر يرى أن فتوحات الصحابة وجهادهم ليس بشرعي) .(٤٦)

وأغلب هؤلاء قد تلقفهم الغرب، وليبراليو العرب، والإعلام التغريبي والمتصهين، ودعموهم وضخموا منهم حتى أوهموهم بأنهم خبراء في السلفية، فنجد أحدهم يظهر وتحت اسمه "خبير في الجماعة السلفية"، وخبير في البطيخ!!

بل حتى أولئك الذين لم يتخرجوا من المدارس السلفية، جعلوا عداءهم الأول للسلفية، تمامًا كما فعل قدواتهم من أرباب التنوير الغربي في محاربة الدين بصورة إجمالية وهو ما يفسر التحول السريع لدى عدد منهم.

٩-المشروع الديمقراطي:

يُنادى بهذا المشروع بوصفه النموذج الإسلامي المنشود، وهذا المشروع يأخذ جانبين:

الأول: (الجانب الفلسفي النظري: الذي يجعل من الشعب مصدر التشريع: فالحلال ما أحله الشعب والحرام ما حرمه، وقد أجمع علماء الإسلام قاطبة على أن هذا الأساس الفلسفي منافٍ لقاعدة الإسلام قاطبة، على أن هذا الأساس الفلسفي منافٍ لقاعدة الإسلام وهي توحيد الله تعالى، والتي تعني بأن يكون المسلم عابدًا لله تعالى وحده؛ وذلك بالاحتكام إلى ما شرعه الله تعالى في أموه كلها، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥]. (٤٧)

فحاكمية الشريعة والقبول بالإسلام والتسليم له لا يجوز أن تكون مرهونه بأحد، قال شيخ الإسلام، رحمه الله تعالى: والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه، وحرم الحلال المجمع عليه، أو بدل الشرع المجمع عليه، كان كافرًا ومرتدًا باتفاق الفقهاء" (٤٨).

الثاني: (جانب إجرائي: يُراد بها الآليات التي تتبعها الديمقراطية كحق الاقتراع العام، والترشيح والانتخابات وتكوين الأحزاب، وتداول السلطة وغيرها من الإجراءات، فهذه اختلف العلماء المعاصرون في الحكم عليها؛ فمنهم من منعها، ومنهم من أباحها، وهذا الجانب الإجرائي لم يكن مدار الخلاف الذي حدث بين السلفيين والمجموعة التنويرية، بل غالبية السلفيين مؤيدون لها وإن حاول بعض التنويريين إيهام المتابعين بغير ذلك) (٤٩).

١٠-حرية الرأي على النسق الغربي:

انبرى بعض التنويريين للمدافعة عن حرية التعبير في الإسلام والتي تقتضي في نظره أن يقول كل إنسان ما شاء من الأقوال الشاذة والمخالفة دون اتخاذ أي إجراء ردعي في حقه، مادام لم يكن في كلامه عدوان على أحد بحجة أن النبي ﷺ لم يعاقب المنافقين، بينما فات التنويريون التفريق بين النفاق المستتر الذي لا يعلن صاحبه فيه معتقده والزنديق المستعلن بكفره وإلحاده وجرأته على النصوص.

نماذج من التحولات الفكرية السلبية:

- حسن شحاتة خطيب مسجد الجامعة بالقاهرة بمصر، تحول من المذهب السني للمذهب الشيعي.
- ضياء الشكرجي زعيم حزب الدعوة العراقي الشيعي؛ تحول من داعية لدولة إسلامية إلى داعية للديمقراطية.
- عبدالله القصيمي، سعودي تحول من الفكر الإسلامي للإلحاد.

ثانيًا: التحولات الغامضة ومظاهرها:

يقصد بالتحولات الغامضة: التغيرات التي التبست وتباينت آراء المتابعين حولها من العلماء والمفكرين والمثقفين، فعدها بعضهم تحولًا إيجابيًا يعكس نضجًا معرفيًا وانفتاحًا فكريًا يدل على حنكة وفقه رشيد في التعامل مع مستجدات العصر، وبعضهم الآخر عدها ترديًا وانتكاسة وتنازلًا عن بعض معالم المنهج السلفي تحت ضغوط الواقع وركام التجارب السابقة، وفئة ثالثة تعده مزيجًا من هذا وذاك (٥٠).

ومن مظاهرها:

١- غلبة العمومية والضبابية في المواطن التي تتطلب وضوحًا:

وهذا النموذج نجده في الصراع الإسلامي والليبرالي الفكري والذي انتهج فيه الليبراليون سياسية تهويل الأخطاء الفردية للمصلحين، ونسج القصص الكاذبة ضد مؤسسات المجتمع الشرعية ويأتي في مقدمتها جهاز الهيئة، تلك الهجمة الليبرالية غير المسبوقة، وكان أصحاب التحولات الملتبسة قد وقفوا موقفًا محايدًا من الصراع حينها، وفي أحيان أخرى تم توظيف مواقفهم من قبل المعسكر الليبرالي حيث لم يكتفِ بعضهم بالسكوت وغض الطرف عن التعليق على الأحداث، بل ساهم بعضهم عبر خطابه النقدي للمؤسسات الشرعية والإسلاميين في حقن الهجمة الليبرالية بما أسموه مصداقية وشفافية، ولا يفهم من هذا ضرورة السكوت عن أي خطأ فردي أو جماعي للمؤسسات والتيارات الإسلامية ومن يمثلها وتقويمها؛ لكن الخلل في مزامنة تلك النبرة مع المخطط التغريبي الذي كان يستهدف المجتمع بكل الوسائل، وهذا ما لم يفت علماءنا وسلفنا الصالح في موازنة الأمور وإدراك مخططات الطوائف المنحرفة التي ربما سعت لمحاولة توظيف مكانتهم لمخططاتهم.

٢-الخطاب المحايد بين المقاومة المشروعة ودعاة التسوية:

وأنا هنا لن أذهب إلى تاريخ أبعد من عام ٢٠١٤ والذي فُضِح فيه الوجه الكالح لهم، والموقف المتردد وغير الصارم في الوقوف مع الحق والذي إن لم يكن موقفًا متصهينًا بالكامل فهو مخذل بصمتهم، ومداهنتهم وموازنتهم في موضع تنتفي فيه الموازنة عند الصغير قبل الكبير، وأقصد هنا الجانب الليبرالي.

٣-الحياد بين دعاة الشريعة وخصومها:

من المعروف أن أمة الإسلام عانت خللًا ظاهرًا ومعضلة كبرى منذ خروج المستعمر من أراضيها في النصف الأول من القرن العشرين تمثلت في احتكام معظم البلاد الإسلامية للقوانين الوضعية.

من هنا نفر الكثير من رجالات الحركة الإسلامية في مصر والشام والمغرب العربي لإصلاح هذا الانحراف الكبير الذي لم تعرفه الأمة بهذا الشمول والاتساع منذ بعثة النبي محمد ﷺ ومن الطبيعي أن تصطدم تلك المشروعات السياسية المشروعة بالنظم المستبدة التي أوعز إليها المستعمر مقاومة المشروع الإسلامي والواجب الشرعي، بل ساهمت في تجفيف منابع التدين وتغريب مظاهر الحياة وتسخير مقدرات بلادها على كل المستويات السياسية والاجتماعية والثقافية، ومحاربة جهود الدعاة المخلصين من الإسلاميين ومشروعاتهم السياسية لإعادة الحكم الإسلامي.

والمفاجئة الصادمة أن بعض أصحاب التحولات الملتبسة حاولوا اختزال ذلك الصراع المفصلي إلى منازعة وصراع سياسي صرف (وتحدثوا بنبرة تبريرية تجاه تلك السياسات القمعية زاعمين بأنها لم تكن حربًا على الإسلام بقدر ما كانت بسبب الطموح السياسي للحركات الإسلامية، وبأن ما ضجت به جنبات منظمات

حقوق الإنسان الدولية، فضلًا عن كلام علماء المسلمين وشهاداتهم الحية عن اضطهاد المسلمين ومآسي المعتقلين وتغييب شعائر الإسلام كان نوعًا من المبالغة والتهويل الذي لا يسنده الواقع) (٥١).

وهذا الموقف يجعل المتابع يتساءل عن المعايير الشرعية والأخلاقية التي يمكن أن تبرر موقفهم هذا.

٤-طغيان لغة التعايش مع الطوائف الأخرى:

في فترة ما بعد ١١ سبتمر- شاعت لغة الدعوة للتعايش مع الآخر! وقدم أصحاب التحولات الملتبسة أنفسهم بوصفهم التيار الإسلامي المعتدل القادر على مد جسور الحوار والتفاهم مع الطوائف الأخرى.

وباعتقادي أن الإشكال ليس بهذا الجزء كون الحوار مع المخالفين مبدأ شرعي؛ فالقرآن الكريم أمرنا بمحاورة الكفار فضلًا عن غيرهم، ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[العنكبوت: ٤٦]، كما أن الهدي النبوي ظاهر في حواراته مع المشركين.

ولكن الخلل الذي ظهر في خطابات هذا الخط هو غياب المرتكزات والقواعد التي يقوم عليها مشروع التعايش، فكون أن مجتمعاتنا الإسلامية ترنو نحو التقدم والنهضة والتنمية؛ لابد أن تحدد معالم واضحة ومنطلقات بارزة تحدد الإطار العام للتعايش المأمول، فثمة رؤية يطرحها أصحاب هذا الخط في بلادنا لا تلتفت لأي ثوابت شرعية، ولا تراعي مرجعية البلاد وهي الشريعة.

وتطلق العنان للرغبة في التعايش المثالي وأهميته دون التفات للمرتكزات والمنطلقات لتلك الرؤية، بالإضافة لضعف لغة التعايش تجاه الداخل الشرعي؛ مثل دعوات التعايش مع الطوائف الأخرى.

والواقع يقول: إن هذا الاتجاه في الخطاب قد فشل بسبب عدم وضوح منهجيته، فهم بالإضافة إلى أنهم فشلوا فيه قد فشلوا في بناء حوار صادق غير هجومي أو معرض عن إخوانهم في الخط السلفي، ومن عجز عن تحقيق هذا الحوار وهو ينتمي إليه بأي شكل من الأشكال فهو عن تحقيق أي حوار وتعايش مع غيرهم أولى، ومثله الإفراط في جلد المجتمع والاختزال في تصوير الواقع، وكذلك الاضطراب في عرض موقف المسلم تجاه غير المسلمين، وغيرها من مظاهر.

ثالثًا: التحول الإيجابي ومظاهره:

يقصد بالتحولات الإيجابية: التغيرات في بعض وسائل الإسلاميين وآلياتهم انطلاقًا من مرجعيتهم العلمية المتمثلة بالمنهج السلفي (٥٢).

إن فكر الإنسان عبارة عن حصيلة متعددة من الرؤى والأفكار والتصورات، بالإضافة إلى الأصل الراسخ المتمثل في عقيدة الإنسان وهويته المستمدة من الكتاب والسنة، والشخص الناجح هو من يضيف لنفسه العديد من الأفكار والتصورات التي تخدم هدفه وتوجهه في الحياة إضافة سليمة لا تتصادم مع الثوابت.

وقد رأينا الكم الهائل من العلماء والمثقفين والدعاة والمفكرين الذين تحولوا من اتجاه إلى آخر، ورأوا أنه يحتاج لمزيد تطور وعناية وتأثير، فكانوا -كما هم- قادة مساهمين معاصرين لواقع أمتهم؛ لا يقفون منها موقف المشاهد النائي، ولا يتنازلون كذلك عن مبادئهم السلمية الراسخة المستمدة من الكتاب والسنة، بل توافقًا وتماشيًا معها، وهو في الحقيقة ما يشجعون عليه ونرجو أن نرى من هذه النماذج العديد، وإن كان في بعض الأحيان لا يسمى تحولًا بقدر ما هو تطوراً وإلمامًا أكثر بالواقع المعاصر، ومواجهة تحدياته، واحتواء الشباب والقرب من واقعهم، فالضابط لأي تحول إيجابي لدى الإنسان هو ألاّ يتصادم مع عقيدته.

ومن أمثلة التحول الإيجابي:

١- شيوع الاهتمام بالقضايا الفكرية.

قد شهد ما بعد ١١ سبتمبر اهتمامًا واسعًا بالقضايا الفكرية لدى الإسلاميين، وهو راجع للأجواء المفروضة إعلاميًا وفكريًا آنذاك، والتي أخذت تهاجم الخطاب السلفي وتصوراته في الميادين العقدية، والحقوقية، والسياسية، ومدى مواءمتها للواقع المعاصر، وقد سعى الإسلاميون للمشاركة الفاعلة في الشبكة العنكبوتية التي تعد أبرز الوسائل الإعلامية وأنشطتها وإنشاء المراكز المتخصصة، وشهد الوسط الشرعي إقبالًا جارفًا على الكتب الفكرية التي يعد معرض الكتاب في الرياض من أبرز ما يكشف الإقبال عليها.

٢- تحقيق العديد من المسائل الشرعية والنوازل الفقهية تأصيلًا وتفصيلًا:

لقد كان من نتاج تلك التحديات التي شهدها الخطاب السلفي أن ينبري طلبة العلم لتحقيق العديد من النوازل الفقهية والمسائل الشرعية، ومن تلك الأمثلة نشاطاتهم في محاربة الاختلاط التي شهدت سجالًا ساخنًا بين الإسلاميين وخصومهم من الداخل.

والنشاط في مجابهة قضايا التغريب بكافة أنواعها، سواء على مستوى الإعلام المرئي أو المسموع والمقروء.

٣- ازدياد مظاهر العمل المؤسسي في المجال العلمي والدعوي:

(تعد المراكز البحثية والعمل المؤسسي من المؤشرات التي يقاس بها تقدم المجتمعات ورقيها، والمتابع يجد أن شريحة من العلماء والدعاة تبنوا خلال السنوات العشر الماضية إنشاء مؤسسات دعوية ومراكز بحثية تستهدف تطوير العمل الدعوي وتنميته، والتصدي للتحديات الفكرية والعقدية التي يشهدها المجتمع، وإيجاد أوعية إعلامية ودعوية توحد الجهود العلمية والفكرية لطلبة العلم والمفكرين الإسلاميين وتتبنى مواهب الشباب

المقبل على الفكر والثقافة، كما اهتم بعضها بعقد مؤتمرات وحلقات نقاش حول العديد من القضايا الفكرية والعلمية) (٥٣).

٤-الفاعلية والمشاركة في الشبكة العنكبوتية:

منذ دخول خدمة الإنترنت للمجتمعات المسلمة -ومنها المحلي- بادر الإسلاميون بالمشاركة الفاعلة والمواقع الدعوية والعلمية الجبارة التي وفرت على طلاب العلم الكثير من الوقت والجهد، وقد شهدت العديد من المنتديات الحوارية الفعالة وتلك المشاركات، وكان لبعضها شهرة عالمية.

وقد شهدت تلك المنتديات صراعات فكرية وتجذابات طاعنة، وقد برزت مشاركات الإسلامين فيها بشكل واسع وغلبة على خصومهم من التيارات الأخرى.

واليوم باتت وسائل التواصل الاجتماعي تشهد بغلبة الإسلاميين على مختلف شرائحهم وأفكارهم؛ وذلك أنك لو نظرت لأكثر من يتابع الناس؛ لوجدت أن الإسلاميين في المقدمة؛ ممّا يدل على دورهم وإسهامهم الفاعل في الأمة.

٥-العناية بالخطاب النخبوي:

(كان مجمل خطاب الإسلاميين ينطلق نحو الجماهير وعظًا وتعليمًا وتوجيهًا وإرشادًا، حتى في سياق الردود على المخالفين كالليبراليين والشيعة، كانت نبرة الخطاب وإن أوحت بمخاطبة المخالفين إلا أنها في حقيقة الأمر تهدف إلى توعية الجماهير وتبصير أفكارهم وتوجهاتهم أكثر من أي شيء آخر.

وفي العشرية السبتمبرية واستحقاقاتها التي أفرزها الهجوم الضاغط على موقف الإسلاميين من الآخر والرقعة الإعلامية، والهامش المرتفع الذي أفرزه مناخ سبتمبر، بدأ الإسلاميون في تقديم خطاب يزاوج بين مخاطبة الجماهير ومخاطبة النخب الليبرالية والشيعية وغيرها.

ومن فوائد الخطاب مع النخب الفكرية: أنه يساعد على استيعاب وفهم مرتكزات الخلاف والتباين مع المنهج السلفي، ومن ثم استبعاد الشخصيات التي ربما تم توظيفها في مشروعات مناوئة للمنهج السلفي ولكنها لا تتبنى الأفكار والتصورات المنحرفة ذاتها) (٥٤).

كذلك: مخاطبة قطاعات جماهرية واسعة عبر الفضائيات غير الإسلامية.

ومن أمثلة التحولات الإيجابية:

- عادل حسين تحول منذ أوائل الثمانينيات من الفكر القومي واليساري إلى ساحة الفكر الإسلامي (من الماركسية إلى الفكر الإسلامي)، وكذلك تحول من الاشتراكية للفكر الإسلامي كثير من أعضاء حزب العمل المصري، وعلى رأسهم رئيس الحزب إبراهيم شكري.

- الكاتب والصحفي محمد جلال كشك، تحول من الماركسية إلى الفكر الإسلامي.
- المفكر محمد عمارة، تحول من الاشتراكية أيضًا إلى أن يعد أشهر المفكرين الإسلاميين في مصر.
- المفكر السوري الدكتور الطيب تيزيني، تحول عن الطرح الماركسي التقليدي القائل بأن عملية التحول المجتمعي تقوم على صراع الطبقات إلى الاعتماد على الطيف الواسع للمجتمع ككل. وتحول كذلك من استبعاد الفكر الديني الإسلامي من عملية التحول المجتمعي كجزء طبيعي من الفكر الماركسي إلى القول بأهمية فهم التجربة الدينية الإيمانية من الداخل وتأثيرها في إنجاز التحول المجتمعي.
- عبد الوهاب المسيري، تحول من الماركسية للفكر الإسلامي.
- أيمن الظواهري وأسامة بن لادن رحمه الله تعالى؛ حيث بدأت تظهر في خطاباتهما الأخيرة أفكار عن الحرية والانتخابات، وهي ليست أساسية في فكرهم.
- كثير من أعضاء الحركات السلفية الجهادية بمختلف تنظيماتها (الجماعة الإسلامي – الجهاد)، ومن أبرز المتحولين فكريًا منهم: كمال حبيب – سيد إمام – طارق وعبود الزمر – ممدوح إسماعيل ومنتصر الزيات... وغيرهم كثير (تحولوا عن الفكر الجهادي إلى الفكر السياسي).
- تحول بعض الجماعات كالإخوان المسلمين إلى العمل الحزبي، وتحول السلفية في مصر إلى العمل السياسي.

ب-من المتحولين فكريًا ومصادر تحولهم أشير إليها إجمالًا:

تحول محمد حسين هيكل(٥٥)، تحول ميخائيل نعيمة(٥٦) تحول توفيق الحكيم(٥٧) تحول طه حسين من التغريب والعلمانية إلى التوفيقية (٥٨) وتحول مصطفى محمود من الماركسية للفكر الإسلامي كتابه "رحلتي من الشك إلى الإيمان"، وكتابه الآخر "لماذا رفضت الماركسية؟ " (٥٩)

المطلب الثاني: العوامل التي ساهمت في ظهور التحولات الفكرية:

شهدت الأمة الإسلامية العديد من التغيرات المتفاوتة والمتعددة، وكلها عوامل ساهمت في ظهور بعض التحولات والاضطرابات في صفوف الشباب، ومن تلك العوامل:

١- ثنائية الجهل والعلم:

معلوم أن الجهل من أهم أسباب الانتكاسات الفكرية والتحولات السلبية بشكل عام، ولكن أي نوع من الجهل يراد هنا؟!!

قال ابن القيم، رحمه الله تعالى: "الجهل قسمان: بسيط وهو عبارة عن عدم المعرفة مع عدم تلبس بضد، ومركب وهو جهل أرباب الاعتقادات الباطلة، والقسم الأول هو الذي يطلب صاحبه العلم، أما صاحب الجهل المركب فلا يطلبه" (٦٠).

(فصاحب الجهل المركب يدرك الأمر على خلاف ما هو عليه، ولكن قد يكون السبب في المشكلة هو العلم بمفهومه النظري؛ لأن للعلم مستويات، ومنها العلم الوارد في نصوص الوحي، وهو الذي يعصم صاحبه بإذن الله تعالى، أما مجرد العلم فقد يسبب مشكلات كما أن له فوائد، وهو واضح في علوم الدنيا، فبعض الاكتشافات العلمية سبب الخراب والدمار وزيادة مأساة الإنسان في الدنيا، ومثله ما يقع للفرد، فليس كل علم يرفعه أو ينفعه، بل قد يضره، ومن هنا جاءت ثنائية الجهل والعلم) (٦١).

فأصحاب التحولات الفكرية جاءت مشكلتهم من العلم وليس من الجهل، فالجاهل قد يكون أكثر ثباتًا وأقوى من المتعلم على جهله؛ لأن خياراته محدودة وبالغالب يكون مقلدًا لغيره فتجده ثابتًا على أمر واحد.

ومفتاح هذه الظاهرة يبدأ بتأمل هذه الآيات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩﴾ [آل عمران: ١٩] ، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ٤﴾ [البينة: ٤]

فيفهم من السياق القرآني أنهم كانوا على الحق ثم وقع الاختلاف والافتراق، وهو تحول عن الحق إلى الباطل.

وقد جاء بعد العلم والنور والهدى والبينات، وهذا يعني أن العلم قد يكون لطائفة من المتعلمين فتنة، فالجهل قد ارتفع عنهم ولكن حل مكانه البغي والضلال.

يقول ابن القيم، رحمه الله تعالى: "فأخبر سبحانه أن المختلفين بالتأويل لم يختلفوا لخفاء العلم الذي جاءت به الرسل عليهم، إنما اختلفوا بعد مجيء العلم، وهذا كثير في القرآن كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٩٣﴾ [يونس: ٩٣] (٦٢)

الأسباب الجالبة للتأويل: لو تأملنا القسم الثاني من الآيات: لوجدنا التحذير من الارتداد على الأدبار واتباع سبيل غير المؤمنين، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ [محمد: ٢٤]، وقال

تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء:١١٥]

فصور سبحانه أن العلم كل العلم هو في كتاب الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ ﴾، وفي سنة رسوله ﷺ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ﴾، فالتحول هنا أو الانقلاب كان من إملاء الشيطان ومن سبيل غير سبيل المؤمنين، والثبات يكون بتدبر القرآن وعدم مخالفة السنة، ومن لم يفعل ذلك وقع له الانقلاب بحسب حاله (٦٣)، نسأل الله تعالى الثبات ونعوذ به من الحور بعد الكور.

٢-المشروعات الفكرية غير الإسلامية:

بعد عام ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م، يذكر المراقبون للمشهد آنذاك أنه توافرت مادة فكرية كبيرة لمجموعة من كبار المفكرين العرب المتأثرين بالثقافة الغربية العلمانية، وهو ما يتوافق مع التفتح العقلي الناتج عن ارتفاع عدد الجامعيين فما فوقهم، ومن أمثلة ذلك: النتاج الفكري الذي أنتجه تيار فكري مشهور تحت نافذة واحدة، مثال: الثابت والمتحول لأدونيس، كتب عبد الرحمن بدوي الوجودية، نقد العقل الإسلامي لأركون، وغيرها، أما نوافذ التيارات الفكرية فمنها: مركز دراسات الوحدة العربية للفكر القومي، ومركز الفارابي للفكر الماركسي (٦٤).

والفرق بين كلامي هنا وبين ذكري لهذه النقطة في جانب التحول السلبي ومظاهره عن التنويريين أن الحركة التنويرية التي ظهرت عبر نشاطها في قراءة كتب هؤلاء جاءت بعد فتح المجال لمثل هذه الكتب في الوسط السعودي والانفتاح المعرفي، بينما هنا نرى أن هذا الانفتاح لمن عاصر تلك الحقبة موجودًا في مكان بكثافة دون الآخر، على سبيل المثال نجده في تونس، ولا نجده في السعودية.

ومع ذلك حتى في هذه الحقبة وما بعدها حتى عصرنا الحالي وقع تحول غريب من طائفة مثقفة نحو هذه الكتابات فتأثرت بها وبخاصة البيئات التي تنعدم فيها مثل هذه الكتابات، بينما البيئات الأخرى لم يحصل لها ذلك الشغف لتعودهم واطلاعهم عليها (٦٥).

ومع أنهم في الأصل متحولون مقلدون، إلا أنهم يصبحون من جهة أخرى أساتذة فينشر الواحد منهم هذه الأفكار نشر المنبهر بها ويظن أنه بلغ مبلغًا عظيمًا.

وأبرز مهمات هذه المشروعات الفكرية:

- اهتمامها بالتراث الإسلامي بعمومية مع استثمار دراسات المستشرقين.
- التركيز على النقد والتأويل.

- ترك النشاطات الفكرية المجردة والإبداع الفكري — حسب زعمهم — إلى دراسة التراث.

٣- تعثر مسيرة الصحوة في التسعينيات الميلادية.

لقد شكلت الصحوة الإسلامية طفرة في الوعي والتوجيه الفكري والاجتماعي لجميع شرائح المجتمع، علماء ودعاة وشباب وعموم الناس.

وأحدث هذا النشاط -حسب رأي المتابعين لتلك المرحلة من محبين ومؤرخين- طفرة في الوعي الشرعي والمعرفي في المجتمعات المسلمة، كالسعودية على سبيل المثال.

لكن حدث نوع من تصعيد الخطاب بقرارات منفردة دون أن تحوز على اتفاق بين الرموز الدعوية الأخرى التي كانت تقود الحراك الفكري آنذاك.

وبعيدًا عن دقة هذا التحليل والوصف لتلك المرحة؛ فقد بات من المؤكد تعثر أو فتور الخطاب الدعوي الذي اتقد فجأة ونشر النفع بين الناس فأصبح غير قادر على استعادة عافيته، وظل يعاني لسنوات فراغًا قياديًا في فترة زمنية حافلة بالتغيرات الداخلية والخارجية.

وفي نهايات التسعينيات الميلادية بدأ يتشكل جيل جديد وبرز صوته تصاعديًا بعد أحداث من ١١ سبتمبر، ولم يكن عند هذا الجيل تصور عن ذلك الحراك الدعوي الذي حصل بداية التسعينيات والذي خف وهجه وبريقه؛ وهو الأمر الذي جعل ذلك الجيل يحلل ويبلور مواقفه من الخطابات السائدة، والتحولات الحديثة للإسلاميين بمعزل عن السياق الزمني لمسيرة الصحوة، وهو الأمر الذي سهل انضواءها [٦٦].

ومن الملاحظ أنه عندما خبأ صوت الصحوة في منتصف التسعينيات أُفسح المجال لبعض الأصوات التي تميل للخطاب الصدامي الذي يتخلى عن الحكمة أحيانًا ويحدث اضطرابًا وحماسًا غير منضبط في نفوس الشباب، وأقول بعض لأن بعض الأصوات الأخرى في نفس الاتجاه تعرف متى تستخدم النبرة العالية، خصوصًا في مواطن نصرة قضايا الأمة الكبرى وزيادة الوعي بمكر الكثير من أهل الدسائس.

لكن النموذج الأول من أصحاب النبرة العالية غير المنضبطة بالحكمة أدت إلى اختيار منهج العنف، وكانت قنطرة للارتداد في الجهة المعاكسة إما على الصعيد الفكري بالاتجاه الليبرالي أو على الصعيد السلوكي بخلع لباس التدين والابتعاد عن المحاضن النافعة.

فتعثر مسيرة الصحوة في التسعينيات الميلادية أفقد الوسط الشرعي والدعوي قدرًا كبيرًا من التوازن الذي كان يستوعب كوادر الشباب المتدين ويشكل الحصانة الفكرية لهم من الانجراف لتيارات العنف بكل أشكالها.

٤- رحيل الرموز الكبرى.

غير خافٍ على كل مسلم الدور الكبير والملموس لعلماء الأمة الأجلاء الراسخين وفاعليتهم، وقد شكل عاملًا مهمًا من عوامل قوتها واجتماع كلمتها، وسطوة تأثيرها على المستويات كافة الاجتماعية، والفكرية، والسياسية أيضًا، وعلى رأسهم الشيخان الجليلان: الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ومن بعده يأتي الشيخ العلامة محمد الصالح العثيمين، رحمهما الله تعالى، اللذان حظيا بقبول شعبي كبير في كافة طبقات المجتمع، بجانب المكانة العلمية والأبوية الخاصة لدى العلماء وطلاب العلم، والمنصب الشرعي الرسمي المتمثل في عضوية هيئة كبار العلماء، ومنصب المفتي العام للشيخ ابن باز، رحمه الله تعالى.

ووجود مثل هؤلاء العلماء الربانيين خلق حالة من التوازن بين الدوائر الثلاث: السياسية، والعلمية، والشعبية.

فقد كان وجود الشيخين يمثل الرمز العلمي والشرعي الذي تجتمع حوله وتأتلف على مائدته أطياف الإسلاميين كافة، كما كان وجودهم حائطًا وصدًا منيعًا للكثير من الأفكار المناقضة لأصول الدين.

وقد شاء الله تعالى أن يرحل الشيخان -رحمهما الله تعالى- قبل حادثة ١١ سبتمبر، فالشيخ ابن باز — رحمه الله تعالى- توفي قبل الحدث بعامين ونصف العام تقريبًا، والشيخ ابن عثيمين —رحمه الله تعالى- توفي قبل الحدث بسبعة أشهر.

وبرحيلهما فقد الوسط السلفي المظلة العلمية التي ينضوي تحتها الجميع في المملكة، ولها أثرها خارجها، وهو ما سرع عجلة الليبرالية.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص — رضي الله تعالى عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ، (إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالما اتَّخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسُئِلوا فأفتوا بغير علم؛ فضلوا وأضلوا)؛ متفق عليه.

وغياب تلك المظلة العلمية ظهر معها الكثير من بوادر التراجعات والتغيرات لدى شريحة من الإسلاميين [٦٧].

(إذ لا يخفى على كل راصد ومعايش للمجتمع السعودي قبل هذه الفترة: أن موقفًا حازمًا من الشيخ عبدالعزيز بن باز ضد أي داعية أو مثقف ومفكر، كان بإمكانه أن ينهي الوجود العلمي والفكري لمن صدر بحقه ذلك الموقف ولو على الصعيد الشعبي، ولهذا قد يتفاجأ من يرصد الصراع الإسلامي العلماني في تلك الحقبة: أنه حتى بعض الرموز العلمانية سعت في كسب رضا الشيخ عبدالعزيز ابن باز-رحمه الله تعالى- أو على الأقل تحييده خلال صراعها مع الدعاة؛ وذلك لعلمها بالأثر الكبير لموقف الشيخ على الصعيد الرسمي والصعيد الشعبي على حد سواء) [٦٨].

والخلاصة أن ابتعاد الدعاة عن وحدة الصف وتفردهم بالآراء والاجتهادات ليس بالأمر المذموم على الإطلاق، ولكنه يكون كذلك إذا تعلّق بقضايا الأمة الكبرى ومصالحها وأدى إلى النزاع والشقاق، ووجود مخرج لقطّاع الطريق من دعاة التغريب وأهل الأهواء بعد طول توقف بسبب تماسك الإسلاميين.

٥-الأحداث الكبرى التي هزت العالم:

الأحداث الكبرى التي تحدث في الأمة وتقلب العالم رأسًا على عقب هي ما بين السلب والإيجاب! فالإيجاب مثل ظهور النبوات في تاريخ البشرية، ومثل الدعوات الإصلاحية الكبيرة الناجحة، أو للسوء مثل الفتن والحروب المدمرة، وأخرى محايدة تحتمل الخير والشر مثل الاكتشافات البشرية.

وفي زماننا المعاصر نجد الأمور الثلاثة وتميل الكفة للثاني، مثل سقوط جدار برلين، وسقوط المعسكر الشيوعي بعده، ومن ثم انهيار اليسار العربي والتحامه مع التيارات العلمانية الرأسمالية، وحروب مدمرة في مناطق العالم الإسلامي من أفغانستان إلى الشيشان، والبوسنة والهرسك، إلى حروب الخليج الضخمة، فضلًا عما يحدث في الصومال وأمثالها من صراعات (٦٩).

وبعد حادثة ١١ سبتمبر ومشاركة نفر من أبناء المسلمين فيها، سواء صدقت تلك الدعوى أو لا، ثارت الأسئلة، وعقدت المؤتمرات والندوات وكثفت الأبحاث الفكرية والأمنية للغرب في دراسة البيئة المنتجة لهذه الأعمال، فتوصلت إلى أن المدرسة السلفية عامة، وبلاد الحرمين خاصة مسؤولة عن إنتاج مثل هذه الأعمال.

من هنا وضعت السلفية تحت المجهر! والمتابع يعلم أن هذه الدعاوى ما هي إلا محاولة صيد في الماء العكر للوصول إلى التأثير على الثوابت ومحاولة إحلال الأفكار الغربية مكانها.

فشعر السلفيون بشكل عام بأصابع الاتهام الموجهة لهم ولعقائدهم وجامعاتهم، وبخاصة أن التيار الليبرالي وزعماءه بين ظهرانينا قد وضعوا أيديهم بأيدي الغرب في تلك الاتهامات، فامتلأت القنوات والصحف بدعاواهم.

وقد مورس على السلفية ومن يمثلها الكثير من الضغط المتزامن مع ضغط الحكومات، ومعه تباينت ردات فعلهم بين المتخذ من المدافعة البحتة مجالًا يثبت فيه رفضه لما جاءوا به، وبين خلع لباس المربي للباس الدبلوماسي السياسي عند البعض الآخر وتبني آراء وأفكار خارجة عن النسق السلفي العام، وتوجه بعضهم لنبرة التجديد في الخطاب السلفي، كل هذه العوامل أدت إلى اضطراب في المشهد السلفي لدى بعض الشباب، مع الأخذ في الاعتبار أن هناك من التزم المنهج الشرعي المتمثل في التمسك بالمنهج السلفي وبيانه وإظهاره بلا مبالغة في المدافعة لإرضاء الغرب الذي لن يرضى، وبلا تمييع لقضايا الأمة وعقائدها.

ولكن الحقيقة أن ذلك الاتجاه السليم لم يكن يغلب عليه امتطاء كل وسيلة من وسائل الإعلام ليطالب بما يطالب به ويدافع عنه ويتنازل عنه كما يفعل غيرهم، فلم يكن الموقف ظاهرًا للشباب إلا من سعى في الثبات في الموقف بالرجوع إلى الناصحين المخلصين.

ولا يفهم من هذا أن جهود غيرهم لم تكن تخرج من حرصهم على الإسلام؛ لكن الانفراد بالرأي وعدم الاجتماع في طريقة تخدم قضايا الأمة بشكل إجمالي، ساهم من حيث يدرون أو لا يدرون في موجة من الاضطراب في صفوف الشباب، فكلهم في أعينهم قدوات وكلهم ذوو رأي يعتد به، فحصلت الحيرة، وإن شئنا بوصف أصدق " التحولات الفكرية ".

٦-ضعف استشعار دور القائد والقدوة للرموز تجاه طلابهم وقاعدتهم الشعبية:

عندما يتحول الدعاة إلى رموز وقدوات يلتف حولها شريحة واسعة من الشباب والمجتمع بأسره، فهذه المكانة تستوجب منه التزامًا شرعيًا وسلوكيًا تجاه أمته وبالأخص الجماهير التي تأخذ بكلامه وفتاواه، فهو حتى في عين مخالفيه من التيارات غير الإسلامية مشهود له بالرمزية والقيادة المجتمعية.

وهذا ما تمثله أنبياء الله تعالى – عليهم السلام - فمثلًا ما جاء في قصة شعيب- عليه السلام- قال تعالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾ [هود:٨٨].

فشعيب – عليه السلام - وجميع إخوته الأنبياء – عليهم السلام –كلهم كانوا حريصين على تطابق دعودتهم لسلوكهم.

ولننظر مثلًا في سيرة نبيّنا ﷺ فحتى مع إعراض المشركين عن دعوته ورسالته لم يمنعهم هذا من الشهادة له بالصلاح والأمانة وحسن الخلق ﷺ.

والحرص على الاستمساك بهذه الصفات لدى الرمز لدى الجماهير أو القدوة يجب أن يكون من ركائز دعوته بسبب:

١- المسؤولية العلمية لدى الداعية والرمز القدوة للحفاظ على مصداقيته لدى الناس، وبخاصة عند المواقف الملتبسة فيسارع عندها أو عند تغيير رأيه وموقفه لبيان أسباب ذلك التحول، والإجابة بشفافية عن تساؤلات الجمهور خاصة الشباب من طلابه وأتباعه.

٢- بسبب ظاهرة خروج الأتباع التي تنتهج ثقافة الإمعية والتمركز حول آراء تلك الرموز دون تفكير مهما عصفت الإشكاليات في رؤوسهم، وبلا شك أن هذا ليس دأب أتباع المنهج السلفي ولا يجرؤ أحد على فرضه على الناس كما عند الصوفية والشيعة، فنجده لا يكاشف رموزه المكاشفة الأدبية التي تضمن له

حق الفهم وحق التوقير للرمز الذي يفوقه علمًا، فلابد أن يرحب ويشجع العالم أو الداعية من حوله من الشباب للمبادرة في السؤال عن أي إشكالية تعترضهم.

وفي رأيي أن بعض الرموز التي لا تشجع على مثل هذه المصارحات ولو في المجالس الخاصة، أو أنفة بعضهم وضيق صدورهم تساهم في عدم حل إشكالات الشباب.

وهذا الكلام لا أقوله من فراغ، فعندما كنت على وشك التخرج من مرحلة البكالوريوس عصفت في ذهني الكثير من التساؤلات حول ظواهر محددة، كان وقتها الإعلام والدعاة وكثير من العلماء يشنعها ويرفضها جملة وتفصيلًا، بينما إذا اتجهت إلى مصدر المشكلة وجدت الكثير ممّا يوافق الحق، فحاولت التواصل مع أهل العلم الذين ظننت سعة أفقهم وصدورهم لمثل هذه الإشكالات التي قد ترد على أي عالم، فضلًا عن شاب متحمس يسعى للفهم والبناء العقلي، فقوبلت تساؤلاتي بالصدود والتسفيه والانزعاج!! فكيف لو كان في مثل موقفي أحد طلبة العلم المتميزين الذين قد تسبب لهم هذه التصرفات انتكاسة وردة فعل كبيرة.

وهو موقف متكرر مع بعض الأقران آنذاك ولا نستطيع تعميهما ولا ننفي وجودها، والحمد لله أن هذه السياسة بدأت في الانحسار فيما بعد مع إدراك أهل العلم لخطورة هذه القضية وفتح مجالات التواصل وبث الإشكالات عبر عدة مواقع متخصصة.

فإما أن تعطي الحق وتعين عليه، وإما أن يكون البديل جاهزًا للشباب، أما منهج الإمعية وخاصة في أخطاء القدوات العقدية أو السلوكية وكبت التساؤلات وعدم التشجيع عليها فأي نوع من الأجيال ستخرجه لنا هذه السلوكيات؟!!.

وعندما أقول إشكالات وتساؤلات فأنا لا أعني التشجيع على التطاول على الثوابت، والإلحاد باسم حرية التعبير... إلخ! كلا فذاك منهج آخر يتبعه من في قلبه زيغ وهوى واستفزاز لأهل الحق وعدم رغبة في العلم والتطلع لسلامة العقيدة، إنما أقصد الإشكالات الحقيقية التي تعترض شباب الأمة، وهو منهج ربى الصحابة –رضوان الله تعالى عليهم– عليه الأمة، مثاله ما (روي عن عمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنه – أنه قضى في امرأة توفيت وتركت زوجها وأمها وأخويها لأبيها وأمها وأخويها لأمها، فأشرك عمر – رضي الله تعالى عنه– بين الإخوة للأم والأب والإخوة للأم في الثلث، فقال له رجل: إنك لم تشرك بينهم في عام كذا وكذا؟ فقال عمر: تلك على ما قضينا يومئذٍ وهذه على ما قضينا اليوم) (٧٠).

(نلحظة هنا أنه مع ما عرف لدى الصحابة والتابعين –رضوان الله تعالى عليهم– من هيبة عمر ومكانته وقوة شخصيته، إلا أن هذا لم يمنعهم من الاستشكال وسؤاله بشكل مباشر عن سبب تغير حكمه، وفي

الجهة الأخرى كانت عبارة عمر –رضي الله تعالى عنه– مع إيجازها واضحة وصريحة لا غموض فيها ولا إلباس في بيان أسباب تغيير حكمه، وأن ثمة علمًا استجد عنده بعد هذه السنوات أنتج هذا القول الجديد) (٧١).

ومن التجارب المعاصرة: (تجربة قادة الجماعة الإسلامية بمصر في مبادرة وقف العنف التي بلوروها ووثقوها في أربعة كتب، كحدث استثنائي في تاريخ الحركات الإسلامية، فقدموا درسًا ساميًا في الشجاعة العلمية والأدبية والمكاشفة العلنية لأخطاء مسيرة سنوات دفعوا خلالها أثمانًا باهظة من أعمارهم ودماء رفاقهم). (٧٢)

٧– الانفتاح المعلوماتي ونشوء جيل ما بعد الصحوة:

خلال العقد الأخير ظهر الاهتمام والإقبال على المعرفة بتنوع مصادرها من كتب وروايات والعناية بالمباحث الحقوقية والمواطنة، والتي لا تعد بشكل عام أمرًا مرفوضًا، ولكنها جاءت في كثير من الأحيان في صفوف جيل الصحوة على حساب تحصيل العلم الشرعي، وجعله الاهتمام الأول واستقبال تلك المصادر بعدم تنقية ممّا أبهت صورة الاعتزاز بالهوية الإسلامية والخلل في بناء المفاهيم والتصورات.

وغالبية تلك المصادر من قصص وروايات ومؤلفات فكرية كانت، أو ذات محتوى ثقافي وثيق الصلة بالثقافة الغربية الليبرالية.

من هنا تسلل الخطاب الليبرالي، وكذلك الخطاب التنويري في صفوف الشباب، ومما زاد الطين بلة خوض بعض الدعاة غمار القنوات الفضائية وبحسن نية منهم خدمة للأمة للفتوى وبث التصورات والأفكار التي كانت تستغلها بعض تلك القنوات لتمرير توجهاتها عبر وجود ذلك الشيخ فيها، سواء ممّا يسمى مسلسلات دينية، أو توجه ليبرالي عقيم، وجاء اليوم الذي تبدى للعالم مدى التخطيط السيئ الذي يستهدف المجتمع الإسلامي والشباب على وجه الخصوص عبر الدراسات العالمية، ووثائق ويكليكس لتكشف للعالم حجم المكر الذي ينتهجونه مستغلين في ذلك الأسماء البارزة للدعاة ودورهم الاجتماعي ومكانتهم عند الناس، وليس سرًا إذا قلنا إن قنوات mbc تأتي في المقام الأول!.

ناهيكم عن ثورة الانفجار المعلوماتي على شبكة الإنترنت، واختلاط الثقافات والحوارات، والابتعاد عن محاضن الدور العلمية والاستفادة من العلماء الراسخين، وصولًا إلى وسائل التواصل الاجتماعي اليوم.

وغيرها من أسباب متعددة أخرى كغياب التخطيط الإستراتيجي للمسيرة الدعوية التي جوبهت بالمحاربة الشديدة وتسلط وسائل الإعلام؛ ممّا أضعف الدور الدعوي وأغرقه في حياض المدافعة البحتة أو إظهار الوجه الهزلي باسم نفي الاتهامام، وبخاصة أن الدعوة في المجتمع السعودي –على سبيل المثال– لا تملك تاريخًا

طويلًا ولا خبرة تراكمية في قيادة مثل هذا الحراك وابتعادها تمامًا عن التركيز على بناء طاقات القيادات الشابة في استمرارية عجلة الدعوة، وهذا لا ينفي أو يلغي بطبيعة الحال الجهود الحثيثة ممن تنبه لهذه الخطورة واستمراريته في بنائها، ولكن تلك الجهود بمقابل النموذج الذي ذكر ذات نسبة ضئيلة، وتركيز البعض على منهج الحفظ والتلقين في التربية والتعليم، وهذا الملحوظ في المدارس وحتى الجامعات، فتعتبر المقررات مرحلة عبور مع الأسف، وليست مرحلة تأسيس بسياسة الحفظ والتلقين البحت، وهذا لا يعني التقليل من قيمة هذه الوسيلة في المعرفة؛ لكن صاحبه ضعف عناية باستيعاب الطلاب وفهمهم لما حفظوه، وضعف الالتزام بالمنهجية العلمية التي تنمي مهارات التفكير العليا لدى الطلاب كالتحليل، والتركيب، والتقويم، والإبداع، إلا ما يشهد من تميز للدروس العلمية الشرعية الذي لا بأس به في تعليم وتدريب مرتاديها من طلبة العلم على القدرة على البحث والنقد وتنمية قدراتهم المعرفية وأدواتهم البحثية؛ وذلك لما تقتضيه طبيعة العلوم الشرعية من فقه وعقيدة وحديث، ومن عرض المسائل وأدلتها وبيان الراجح من الأقوال، إلا أن بعض المحاضن التربوية الشرعية تبنت منهج التلقين نفسه، وإلا لما وجدنا أن بعض شبابها قد تحول لخصم عنيد لها يهاجمونها، وأصبحوا روادًا في الإعلام الليبرالي باسم خبراء في الجماعات الإسلامية والبطيخ التنويري (٧٣).

٨-الإعلام ومحاربته للفكر الإسلامي:

(إن من سنن الله تعالى التي خلت من قبل أنه ما من زمان ترفع فيه راية السنة، ويعلو فيه شأن للمسلمين ويرتفع لواؤهم، إلا وتظهر فيه طائفة من الناس امتلأت قلوبهم غيظًا، وحقدًا، وارتوت افئدتهم خبثًا، ومكرًا، ينتبذون مكانًا قصيًا، ويسلكون مسالك شتّى في الكيد للإسلام والتربص بحملته، وإن ممّا ابتلي به المسلمون في هذا الزمان نفر من بني جلدتهم يعيشون بينهم ومعهم يلبسون ثيابهم ويتكلمون بلسانهم؛ لكنهم يحملون همًّا غير همّ دينهم ويدعون إلى منهج غير منهج قرآنهم وشريعتهم، يسلكون في ذلك طرائق قددًا، فمرة يؤذون المؤمنين باسم التطرف، وتارة يتطاولون على أعراض العلماء وطلبتهم باسم الحرص على الدين، وأخرى يلمزون الدعاة إلى الله تعالى باسم الحفاظ على المصلحة العامة واستتباب الأمن) (٧٤).

وينشرون ذلك عبر وسائل الإعلام باسم حرية الرأي والتعبير وحرية القلم، أما الغرض الأساسي فهو إضعاف السلطة الدينية، وتهميش دور العلماء، ووصمهم بما لا يليق بمكانتهم العلمية التي رفعهم الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨]، ونلمس في واقعنا الكثير من جرأة أرباب الأبواق والأقلام المستأجرة تطاولًا كبيرًا وصريحًا على الثوابت، وصلت حد المساس بالذات الإلهية والإساءة لمقام النبي ﷺ ومن أقلام معروفة.

وكل ذلك ممّا يساهم في تغير تصورات الشباب والخوف من سلوك مسلك الصالحين في بعض الحالات، وأقول في بعض الحالات لأن مجتمعنا بالجملة مجتمع محافظ، وهذا التوجه في الإعلام العربي خطير جدًا وسينشئ جيلًا ضعيف الهوية الدينية، ومما يزيده خطورة سكوت الأنظمة السياسية في الدول العربية عليه؛ ممّا يزيد في تمادي الكتاب والمسئولين عنه تماديًا وتجاوزًا، وتحديًا لمشاعر المسلمين من خلال تناول علمائهم ودعاتهم بأسلوب فظ غليظ.

كما (تردد الصحافة العربية وأبواق الإعلام العربي بشكل عام مصطلحات دخيلة على مجتمعاتنا الإسلامية، تترجمها الصحافة العربية على عواهنها بدون تمحيص ولا غربلة لمدلولها، مثل (الأصولية)، (الإرهاب)، (التطرف)، إذا أطلقت في سياق وصف الإسلاميين والجماعات الإسلامية) (٧٥).

وهي (مصطلحات تتناقلها وسائل الإعلام الغربية وتستقبلها وكالات الأنباء العربية وتقوم بترجمتها حرفيًا، وتضمينها في المادة الإعلامية المنشورة؛ فيجدها القارئ العربي تتصدر الأخبار والتحقيقات والمقالات الصحفية التي يطالعون بها القراء بكرة وعشيًا) (٧٦).

ومن أساليبهم التي ساهمت في تضييق الخناق والضغط على الشباب الصالح والأمة بشكل عام:

- هم يصفون التدين والالتزام بـ (التطرف الأعمى).
- ويصفون الصحوة الإسلامية بـ (الظاهرة الاجتماعية).
- ويصفون الدعاة إلى الله بـ (أدعياء العلم).
- ويصفون الحق الذي هو غاية الدعاة بـ (الخداع والتضليل).
- ويصفون طريقة العلماء في نشر العلم- عن طريق الكاسيت مثلًا - بـ (أساليب غير مشروعة).
- وعمموا الحكم على الجماعات الإسلامية ووصفوهم بأنهم كلهم (إرهابيون).
- ويصفون الحريصين من طلبة العلم على متابعة الدروس والمحاضرات الدينية بـ (المتطرفين) (٧٧).

وكل هذه الأساليب الغوغائية تدعو للتساؤل التالي: إذا كان الإعلام والصحافة هي من تشكك الناس في ثوابتها بشتى الطرق الملتوية، وساهمت في غسل أدمغة وتحول بعض الشباب الصالح، من أين يريدون أن نأخذ ديننا؟؟، إذا كان العلماء إقصائيين، والدعاة إرهابيين، والمقاومون الذين يدافعون عن ثوابتهم وبلدانهم على سنة ومنهج رسول الله ﷺ متطرفين، فمن أين نأخذ الدين؟؟، كلام نواعم وعرب آيدول مثلًا؟!!.

(إن مخاطبة الأمة عبر الوسيلة الإعلامية بمادة ممتلئة بالمخالفات الشرعية ومحاولة تطويع نصوص الشريعة لتحقيق الهوى والمآرب الشخصية من الانتقام للذات، ومحاربة للدين وأهله بدعوى الحرص عليه والمحافظة على مصالح المسلمين، وكيل التهم والتشهير بالدعاة إلى الله تعالى والناصحين للأمة، واستخدام الأساليب

المبتذلة والرخيصة في ذلك، إن ذلك كله ممّا ترفضه مجتمعاتنا الإسلامية جملة وتفصيلًا؛ لأنه باختصار يتعارض مع عقيدة المجتمع ودينه، وهو ما ينافي نظامه الإعلامي الذي يجب أن يستمد إطاره الكلي من قواعد الإسلام وأصوله؛ ذلك لأن الكلمة في إعلامنا ينبغي أن تكون قادرة على إيصال معناها إلى جماهير الأمة، فلا تنوء بحمل معانيها، وأن يراعى في اختيارها الأسلوب الأمثل في مخاطبة المسلمين، وهو أسلوب ينأى عن الكلمة النابية واللفظة الرخيصة واللغة الحادة أو المبتذلة المنافية للذوق الإنساني) [٧٨].

(إن لحرية الرأي العام في مجتمعاتنا الإسلامية ضوابط معروفة معلومة، وإن استخدام هذه الحرية في غير مواضعها هو تحدٍّ سافر على القيم والمبادئ السائدة في المجتمع، يدرك ذلك كل إنسان حباه الله تعالى فطرة سليمة وعقلًا رشيدًا، وتعاملنا مع مصطلح الحرية محكوم بضوابط الدين والشرع، وإلا أصبحت الحرية فوضى ونبتة سوء تفرق الأمة، وتظلل الفتنة، وتقود إلى الفرقة والتمزق.

وذلك ما سقطت فيه الصحافة العربية حينما قادها من أعمى الله بصيرتهم عن الحق، فنشروا الفكر الدخيل على عقيدة الأمة، فكر يوحي بالضياع ويدل على الغفلة والجهل بهذا الدين.

وإننا نربأ بصحافتنا أن تنشر علينا فكرًا هزيلًا يستمد جذوره من مظاهر (الانحراف الديني) و (الهوس الحضاري المريض) [٧٩].

كما أن (من النّخب الفكرية والثقافية في وطننا العربي: من تريد تكثير سواد حملة لواء (استحباب العمى)، وتنويع قاعدة الأتباع لتشمل فئات المجتمع بأكملها، مع التركيز على الناشئة وصناع القرار؛ لتكتمل منظومة صياغة (جيل العمى) باسم التنوير، وهي نخبة تجيد فن صياغة الشخصية، وتعدد الأقنعة، وتلون الغايات، تقتات في بيئة الخوف والذل والصغار والانكسار لكنها واضحة وصريحة في هجومها على دعاة الهدى والإنقاذ من العمى.

فهل يَعْقل تعدد أدوار هذه النخبة، وتلوّن رموزها، وتنوع أقنعتها.. مَن يملك قرار اجتثاثها، وتخليص الأمة من مكائدها؟!) [٨٠].

المبحث الثالث: أثر التحولات الفكرية على الإسلام والمسلمين.

أولًا: أثر التحولات الفكرية على الإسلام عقيدة وشريعة.

دعونا قبل الحديث عن هذا المحور نتفق على أن دين الله تعالى هو الغالب على كل ألوان الباطل ورموزه ودعاته، وقد قال الصادق المصدوقﷺ: "ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزًا يعز الله به الإسلام وذلًا يذل الله به الكفر". [٨١]

وأن الخيرية في أمتنا -مهما كانت محاولات الحاقدين وانتكاسات الصالحين- ظاهرة ملموسة ولله الحمد، وباقية بحول الله وقوته، وسلامة العقيدة من صحة الإيمان، وتحقيق التوحيد، وكمال العقل، وسداد الرأي، وبها تجتمع القلوب على الحق، وحصول السيادة، والانتصار على الأعداء، لكن هذا لا يلغي أثر وخطورة التحولات الفكرية على العقيدة أيًا كانت النسبة، ولأن محور الحديث هنا عن التحولات كان لابد من بيان هذا الأثر ولو بشكل مجمل.

فأقول، وبالله التوفيق: إن المخاطر الكامنة وراء التحولات الفكرية على العقيدة الإسلامية تتمثل في إلغاء الثوابت أو إضعافها بعد أن عجزت جيوش الاستعمار والكيان الصهيوني عن النيل من ثوابتنا وهويتنا خلال عدة قرون، ومن المؤسف أن يكون بعض أبناء التوحيد معاول هدم ونقض لعرى هذه العقيدة في بعض الأحيان، فإذا كنا نحن أمة الجماعة وقوتنا في وحدة صفنا، فإن هذه التحولات الغريبة تحاول حتمًا تفتيت عضد هذه الجماعة التي أمرنا بها في كتاب ربنا سبحانه وتعالى القائل: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران:١٠٣]، فخطورتها تكمن في خلخلة العقيدة في النفوس، وإضعاف التمسك بالشريعة، والتمرد على التعاليم الربانية، والزيغ بالعقل في دهاليز الغي، وخلخلة المفاهيم لدى أبناء الأمة.

ثانيًا: أثر التحولات الفكرية على الشباب المسلم وبعض مظاهر علاجها:

إن أثر التحولات الفكرية المعاصرة على الشباب أخذ بُعدين:

البعد الأول: الاضطراب الفكري لدى بعض الشباب، والتحول الفكري عند بعض القدوات يولد لديهم ردة فعل عكسية تنبئ عن ضعف النشأة والتربية والاعتصام بالكتاب والسنة وعودة جميع الأمور إليها.

فيأخذ الشباب -في بعض الأحيان- بعض القادة والمفكرين أو من كان موضع تأثير في الأمة قدوات يوصلونهم لدرجة المثل الأعلى في حياتهم ويتأثرون بهم ويدافعون عنهم.

وهو بلا شك مسلك حميد، لكن إذا طغى وتجاوز الحد بحيث يتحول إلى اعتقاد بما يشبه عصمتهم من الزلل، وأن أمثال هؤلاء القدوات لا يخطئون، ولا يتصور منهم الزلل؛ فهذه هي الكارثة بعينها.

إن خطورة هذه التحولات تكمن في النتيجة التي ستلحق بالشباب الصدمة العميقة التي ستعود على بعضهم من الاضطرابات العامة بل التشكيك في بعض الأحيان في الهوية وثوابت النبع الصافي الذي تربوا عليه، وفي الأشخاص المخلصين الذين لهم جهودهم وبصماتهم العظيمة في الأمة.

فهم حينها إما أن يلحقهم التحول ذاته، وقد يتطور الأمر ليمتد إلى الانسلاخ، وصنع نسخة أخرى من الفكر الغربي أو التغريبي، وإما أن يظلوا مضطربين متشككين إلى ما شاء الله تعالى، وإما أن يكونوا على وعي تام بأنه لا عصمة لأحد من الزلل، ومن ثم سيستفيدون من تجربة هؤلاء المتحولين، ولا يتأثرون لدرجة التحول والاضطراب، كالذي يحدث لبعض أقرانهم، بل يعودون أقوى ممّا كانوا وأكثر إيمانًا وصحةً ويقينًا بأنه كل يُؤخذ من قوله ويرد إلا من عصمه الله تعالى وهو قدوتنا وقرة أعيننا محمد ﷺ، وهو في الحقيقية نموذج إيجابي نجح في غرس أهمية التمسك بالهوية والمعتقد في نفسه وربى نفسه على هذه الحقائق.

البعد الثاني: التحولات الفكرية من الشباب أنفسهم، وهذا ملحوظ بشكل لافت اليوم خصوصًا مع تقدم وسائل الاتصال والتواصل والإعلام وانفتاح العالم، وتعدد سبل اتصاله وابتعاث الشباب للخارج بلا حصانة فكرية تمنعهم من الانجراف نحو الباطل، فنجد بعضهم يدخل في جدليات ونقاشات مع أشخاص لديهم قواعد وحرفة اللعبة: (كلامية أو ذات خلفية بهوية الشخص أكثر من الشخص ذاته حتى لو من باب إثارة الشبهات)، فيحدث تأثراً واندماجاً مع الآخر على حساب عقيدة هؤلاء الشباب الإسلامية مع الأسف، وأحيانًا نجد تحولًا ذريعًا، نتيجة اعتقاد بعضهم ضعف ثقافتنا وقوة ثقافة الآخرين وبخاصة لدى المتأثرين بالثقافة الغربية لأي سبب من الأسباب المتعددة، والتي تجنح في النهاية لتحول الشباب الفكري، ونستطيع أن نسميه تحولًا فكريًا لأنهم أناس مسئولون وعلى عقيدة سامية، فإذا تأثرت بأي شكل من الأشكال يكون هذا تحولًا ذاتيًا بمحض إرادتهم، خاصة لدى الشباب المستقيم.

ومع ذلك ينبغي ألا نغفل التحول الفكري الإيجابي للشباب، الذي يظهر من خلال تعدد وسائل الاتصال ذاتها ووسائل الإعلام وجهود كثير من المفكرين والمثقفين في بث الخطاب الجيد والهادف الذي يستقطب الشباب، فيحولهم من الحال السلبية إلى الإيجابية التي تفيدهم، وتفيد أمتهم، وتجعلهم أعضاء فاعلين منتجين في المجتمع، مشرفين لبلادهم في كافة المحافل، والذي لا يقتصر على جانب معيَّن.

وفي واقعنا المعاصر: أصبحت التحولات الفكرية السلبية تشكل خطرًا على الشباب، بسبب عدة أمور منها:

١. ضعف الوازع الديني، وضعف الاعتصام بالكتاب والسنة.

٢. التربية الخاطئة المعتمدة على التبعية المطلقة والتلقي دون التشجيع على بناء الفكر والاهتمام برأي الشباب.

٣. تحول قدواتهم البارزين عن فكرهم الذي تربوا عليه دون أن يغرسوا فيهم أن الأصل والمرجع في كل الأمور الكتاب والسنة.

٤ . المستجدات المفاجئة التي تحدث في الأمة: مثل: الثورات العربية وتبعاتها السلبية، دون الالتفات لتبعاتها الإيجابية.

٥ . التقليد الأعمى لبعض الصيحات الغربية في كل المجالات بحجة التغيير.

٦ . الابتعاث الخارجي بلا تأهيل حقيقي لما قد يواجه هؤلاء الشباب.

٧ . تقصير المؤسسات التربوية والعلمية في توجيه فكر الشباب نحو الاتزان.

٨ . الإعلام وبثه للغث والسمين، والتركيز على الترفيه، دون صناعة هوية ثقافية حقيقية إلا القليل.

فبدلًا من أن يَخرج لنا جيلٌ يبني في الأمة ولا يهدم، يخرج علينا جيلٌ شبه منسلخ عن ثوابته وقيمه لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا.

ثالثاً: العوامل النفسية وظاهرة التحول:

مثاله ما يجسده الدكتور مصطفى محمود في تجربته، وقد جاء في مقدمة كتابه كلام صادم عن طبيعية التحول وأنه أمر عادي ومشروع، يقول: كل شيء يتغير، إن المثل القائل بأن لا شيء باقٍ على الأرض مثل صحيح، فلا شيء باقٍ غير الحقيقة.. حتى المثل العليا كالجمال والحق والخير دائمة التبدل والتطور هي الأخرى.. إلى أن وصل: في هذا الكتاب حاولت أن أناقش مشاكلنا كلها من جديد.. وأطرح التركة الفكرية التي ورثناها عن الجدود في غربال واسع الخروق ليسقط منها الفاسد ويبقى الصالح...

ويقول: الدين يبقى طالما هو يؤدي وظيفة أرضية ويخدم ضرورة يحتاجها الناس.. (٨٢)

كما لمست في كلامه سخرية من بعض الشعائر الدينية التي كان يطبقها ثم فجأة شعر أنه في دائرة مفرغة مفادها التشكيك في شعيرة وفضيلة دينية وهي " الصدقة " التي قال الله تعالى عنها: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة:١٠٣]

يقول: (منذ أسابيع سمعت واعظًا يتحدث ساعة كاملة عن الصدقات وعن فضيلة الإحسان.. وغلبتني الدموع.. وأقسمت أن أعطي نصف راتبي للفقراء والنصف الآخر للخطيب.. وبعد أن انتهت الخطبة.. سرت أترنح في طريقي سكران من الفصاحة.. ولكني بدأت بالتدريج أفيق.. وأدرك حقيقة عجيبة.. فلو صح كلام الخطيب.. لأصبح هناك طريق واحد للفضيلة.. طريق واحد يخلق مجتمعًا من المحسنين.. هو أن يكون باقي المجتمع من الشحاذين.. فالصدقة.. تحتاج إلى شحاذ يأخذها) (٨٣).

ولكن بعد أن منّ الله تعالى عليه بالرجوع إلى الحق: انتقد نفسه وفكره القديم بقوله في مقدمة كتابه "رحلتي من الشك إلى الإيمان": (تقولون إن الله خلق الدنيا لأنه لابد لكل مخلوق من خالق، ولا بد لكل

صنعة من صانع، ولا بد لكل موجود من موجد.. صدقنا وآمنا.. فلتقولوا لي إذن من خلق الله.. أم أنه جاء بذاته.. فإذا كان قد جاء بذاته وصح في تصوركم أن يتم هذا الأمر.. فلماذا لا يصح في تصوركم أيضًا أن الدنيا جاءت بذاتها بلا خالق وينتهي الإشكال). (٨٤)

يقول عن هذا التحول: (إن زهوي بعقلي الذي بدأ يتفتح وإعجابي بموهبة الكلام ومقارعة الحجج التي انفردت بها.. كان هو الحافز دائمًا.. وكان هو المشجع.. وكان هو الدافع.. وليس البحث عن الحقيقة) (٨٥).

وهذا الكلام من الدكتور -يرحمه الله تعالى- يزيدني قناعة بأن بعض الشباب المتحولين فكريًا لدى بعضهم دوافع نفسية، ورغبة في استقطاب الأضواء بشيء مخالف للمعتاد ولو كان على حساب الدين، فينبغي كبادرة من بوادر معالجة هذه الحالة مع الإنكار والنصح، منازلته فكريًا بطبيعة تتوافق مع طبيعته إن كان معاندًا، أو متحديًا، أو آخذًا بمبدأ خالف تعرف، ينازل ويتحدث معه على انفراد، فهذه المقارعة سوف تضعضع من ثقته بما يقول من أي نوع من أنواع التحول، وستفهمه أن الناس يفهمون، وهو وإن أنكر ذلك ظاهريًا إلا أن أسلحته الداخلية ستصيبه بالانهيار، فهو إما أن يعود إلى رشده وربه ويعلم فداحة ما هو فيه، وإما أن يتخبط مقتنعًا بالانهزام الذي لحقه.. وهذا فيما يتعلق بالجانب النفسي، وما أكثر المتحولين لدوافع نفسية بحتة.

وأجود الحوار وأنفعه مع الشاب المتحول هو في بداياته حيث الفطرة والصراع الداخلي لم يرسُ على شواطئ إبليس بشكل تام، وإنما تلامس بعثرة الأمواج شيئًا من دواخله ونزعاته النفسية.

يقول: علي القصيبي المتحول من الضلالة " مذهب التشيع إلى منهج أهل السنة" (كان أول اصطدام حقيقي لي مع المذهب الذي كنت عليه هو الجانب الخُلقي. في البداية كنت أواسي نفسي بأن التصرفات الشخصية التي ألاحظها لا علاقة لها بالمذهب من قريب أو بعيد، إلى أن جاء اليوم الذي اكتشفت فيه الحقيقة، وسقط الساتر الذي كان يسترني عن الحقيقة) (٨٦).

وهذا يثبت سلامة الفطرة في نفوس كثير من المتحولين، وما يجدونه من صراع داخلي يجب أن يستغل، قبل أن يتلقفه أعوان الليبرالية المتزندقون ويصبح ضيفًا دائمًا في مجلس الشيخ إبليس! ومتحدثًا رسميًا عنه بما يمليه عليه وحي الشياطين والنفس الأمّارة بالسوء والفكر الذي اغتاله الهوى والجهل.

ومن النماذج التي يستدل بها على مظاهر بداية علامات التحول على الشخص تلك الأسئلة التي تخرج من نطاق الأسئلة العقلية العارضة التي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم صريح الإيمان؛ ليبدأ صاحبها بالطرح والحديث العلني بعد سلسلة من الصراعات الداخلية مثلًا قول أحدهم: (أنتم تقولون إن الله يجري

كل شيء في مملكته بقضاء وقدر، وإن قدر علينا أفعالنا، فإذا كان هذا هو حالي، وأن أفعالي كلها مقدرة عنده، فلماذا يحاسبني عليها؟. لا تقل لي كعادتك.. أنا مخير فليس هناك فرية أكبر من هذه الفرية ودعني أسألك: هل خيرت في ميلادي وجنسي وطولي وعرضي ولوني ووطني؟ هل باختياري تشرق الشمس ويغرب القمر...) (٨٧)، وغيرها من العبارات التي نلمسها في وسائل التواصل ممن خرجت تساؤلاتهم للعلن، فهؤلاء يجب أن يجاب عليهم بذات المنطق بالطريقة العقلية التي تلبي حاجات عقولهم المثارة، نعم إن استنكار فعلهم وشجبهم أمام الملأ وسيلة رادعة لبعضهم في كثير من الأحيان؛ لكن لا نغفل جانب الإصلاح والتقويم، فمثل هذه الأسئلة وإن بدت للكثير منا سهلة وواضحة ومباشرة إلا أنها عند بعض من ابتلي خيوط شائكة، إن لم تحل ستستفحل وبعدها نرى الشاب منهم منسلخًا نحو التحول الجذري وهو ما نسميه بالإلحاد والردة.

رابعاً: أبرز سمات المتحولين فكريًا عن السلفية في واقعنا المعاصر:

يتميز الكثير من المتحولين بسمات عامة يشتركون فيها، تختلف من شخص لآخر، ومما رصدته في التحولات في زمرة من المتحولين في السعودية التالي:

١-الإعلاء الشديد من قيمة العقل ومكانته، والذي يتجاوز الحد الشرعي وتوسيع دائرة الوثوق به كمصدر للمعرفة، خصوصًا في مجال العقيدة، وكذلك تقديم العقل على النص الشرعي عند التعارض حسب مفهومهم.

٢-حرص أصحاب هذا الاتجاه في دعوتهم إلى استخدام العقل وتوظيفه، على إبراز عناية الإسلام الشديدة بالعقل والدعوة إلى إعماله وذم المعرضين عنه؛ حتى إنه حمل بعضهم على إدخال مذهب السلف في دائرة المنتقصين للعقل.

٣-الدعوة المستمرة للاجتهاد والإلحاح على فتح بابه والذم الشديد للتقليد والمقلدين واعتبارهم سببًا من أسباب التخلف الحضاري للأمة.

ومن حيث المبدأ لا إشكال في ذلك، بل الإشكال: أنه قد رافقت تلك الدعوة إعادة النظر في بعض العلوم المتعلقة بالنص الشرعي.

٤- النزعة الدفاعية ظاهرة عند كثير من أصحاب هذا الاتجاه؛ ممّا دفعهم إلى محاولة تقديم الإسلام للغربيين في صورته المثلى بحسب نظرهم، وردّ ما نسب إلى الإسلام من الشبهات حول عقيدة وأحكام هذا الدين، وهو مطلب حسن لكن الاستغراق فيه قادهم إلى عكس ما أرادوا؛ فهم قد قدموا صورة مشوهة مجتزأة بسبب النفسية التي فيها شيء من الانهزام وانبهار بالغرب وحضارته. (٨٨)

هذه الأسباب وغيرها انتجت الضعف في المادة الشرعية، وكثرة الترويج لمصطلحات لها مدلولات شرعية، كالوسطية والاعتدال ونحوها في غير موضعها.

خامساً: من مظاهر علاج هذه الظاهرة:

إن العلماء والمفكرين والمثقفين والمدارس والوالدين والمؤسسات المؤثرة في الأمة بشكل عام: يقع على كاهلهم أهمية تربية النشء والشباب على أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة، ورد جميع الإشكالات والأمور التي تواجههم إلى من يحل لهم ما غمض عليهم منها، من الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء:٨٣] ، وقال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النحل:٤٣].

ويتمثل دور هذه الجهات في توجيه الشباب من خلال ما يأتي:

- أولًا: تعويدهم على الاعتصام بالكتاب والسنة، وأن لا عصمة لأحد بعد النبيﷺ وأن البشر يطرأ عليهم التحول، وأن لا يجعلوا أحدًا فوق الزلل والنقد.
- ثانيًا: بناء الثقة بالنفس والاعتزاز بالهوية والعقيدة الصحيحة، حتى لا تتشربهم الأفكار الضالة.
- ثالثًا: إعدادهم الإعداد الجيد قبل ابتعاثهم إلى الخارج، بل تدريبهم في ورش عمل خاصة تعرفهم ببعض الشبهات المتعددة، وكيفية اتقائها والتعامل معها، كي لا تتلقفهم الأفكار المنحرفة وأربابها.
- رابعًا: إعداهم في المدارس والجامعات ليكونوا قادة بأنفسهم مفيدين لغيرهم ومجتمعاتهم.
- خامسًا: تعويدهم على الأخذ بكل جديد ومفيد أيًا كان من باب أن الحكمة ضالة المؤمن، والاطلاع على الأفكار والرؤى غير المفيدة عند الغربيين ولكن باعتزاز كامل بمبادئه وأفكاره ليتربى على الثقة بالنفس.

المبحث الرابع: دور الخطاب الديني في الحد من التحولات الفكرية:

يأتي الحديث عن الخطاب الديني، من باب أنه أحد ركائز مقومات الخطاب المعاصر المؤثرة على الشباب، ودوره الفاعل في المساهمة في التأثير على الأمة والشباب بشكل خاص، ومعرفة ما إذا كان الخطاب الديني يحقق هذا المطلب في الواقع أم لا، وكذلك معرفة العوامل التي تساعد في مواكبته للغة العصر والتأثير فيها.

أ- ماهيَّة الخطاب الديني:

الخطاب في اللغة: لفظ الخطاب يعني المحاورة والمحادثة بين طرفين أو أكثر، ونسبته للدين يقصد به الخطاب الذي يعتمد على مرجعية دينية في مخاطبته وأحكامه وبياناته، ووردت كلمة الخطاب في (لسان العرب) الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه مخاطبةً وخطابًا، وهما يتخاطبان. وفصل الخطاب أن يفصل بين الحق والباطل ويميز بين الحكم وضده (٨٩)، وقال الأصبهاني: " الخطب " والمخاطبة، والتخاطب: المراجعة في الكلام وفصل الخطاب: ما ينفصل به الأمر من الخطاب (٩٠).

الدين في اللغة: الديانة، اسم لجميع ما يعبد به الله، والملة والإسلام، والاعتقاد بالجنان، والإقرار باللسان، وعمل الجوارح بالأركان (٩١).

وأما تعريف الدين اصطلاحًا: فقد عرفه كل إنسان حسب مشربه، وما يرى أنه من أهم مميزات الدين، فمنهم من عرفه بأنه "الشرع الإلهي المتلقى عن طريق الوحي"، وهذا تعريف أكثر المسلمين. (٩٢)

أما سمة الخطاب الديني أو الإسلامي: فالمقصود بها الخطاب الذي يعتمد مرجعية إسلامية في المخاطبة، ويراعي أساسيات الدين، ويرسم أولوياته على أساس القيم والمبادئ الإسلامية الثلاثة المعروفة وهي: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن.

والجدير بالذكر أن الخطاب الإسلامي ليس هو الإسلام، وإنما هو تفسير وتأويل وتفاعل العقل المسلم مع الدين كرسالة سماوية (٩٣).

وتوجد أنوع عدة من الخطاب؛ مثل: الخطابة العلمية، والخطابة السياسية، والعسكرية، والقضائية، والدينيَّة (٦).

والخطاب الديني أو الإسلامي ينقسم أقسامًا عدة؛ منها على سبيل الإشارة:

الخطاب الوَعْظي، والخطاب الفكري، والخطاب الاجتماعي، والخطاب الدعوي.

ب- واقعُ الخطاب الديني المعاصر:

الخطاب الدِّيني في واقعنا المعاصر يتخذ جانبَيْن:

١-الأصالة والوعي.

وأعني بـ"الأصالة والوعي": أن يكون الخطاب الديني أصيلًا مستمِدًّا توجيهاته من مصدر قوته ورقيه القرآن الكريم والسنة النبوية، والقيم والأفكار الإسلامية بشكل عام، وهو وإن اقتبس من غيره من الثقافات والأفكار فإنما هي وفق ما يرتضيه وتتماشى مع أساسياته وقيمه وأدبياته.

وأعني بالوعي: أن يكونَ الخطابُ الديني واعيًا لما يحيط به من مستجدات، متأهبًا للطوارئ بما تقتضيه المرحلة، ولا يعني توقعها بالضرورة، ولكن وجود الكادر الفكري القادر على فكِّ شفرة تلك المستجَدات التي تكون مفصليَّة في بعض الأحيان وصناعة الخطاب الديني المتوازن بين الأصالة والوعي.

٢- التبَعيَّة والفرض.

الجانب الآخر الذي يتخذه الخطاب الديني هو الجانب السلبي "التبعيَّة والفرض":

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمر تحديدًا، وما تلاها من اضطرابات شهدها العالم، بدأ الضغط الخارجي على الخطاب الديني، ومحاولة تفصيله حسب الوجهة التي يريدها الغرب.

فرأينا بسبب هذه الدعوات الهجمات المتتالية على المؤسسات الدينية، والمناهج الدراسية الإسلامية في المدارس والجامعات، والمساجد وغيرها والتي تُعَدُّ صورة من صور الخطاب الديني!

فينبغي تكثيف الجهود في إبراز الخطاب الديني بصورته المشرقة؛ لا المتنازلة والمشككة والمضطربة التي تجعل جُل جهدها إما بالنقد أو التلميع والدفاع، دون العمل على إخراجه بمنظره الحقيقي وتطويره كذلك.

ج-ضرورة التجديد في الخطاب الديني:

يمكن القول: إن مصطلح التجديد تشعبت معانيه، وتنوعت مضامينه، مع بداية العصر الحديث؛ لتنوع خطاب التجديد بين تيارات مختلفة المشارب والرؤى على الرغم من اتفاقهم على ضرورة التجديد كمطلب ملحّ، وإشكالية حقيقية تواجه الأمة.

ومصطلح التجديد كلمة لها أصولها الشرعية ومدلولها الواضح من خلال حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد أمر دينها) [٩٤]، وهو ما عبر عنه السيوطي وغيره ممن تناولوا حياة هؤلاء المجددين في مؤلفات. وقد استخدم المصطلح عنوانًا للعديد من المؤلفات التي تناولت قضية الخطاب الديني [٩٥].

والتجديد ليس انقطاعًا عن تراث السابقين ولا قفزًا عليه، بل يكون بقتل التراث بحثًا، ونقدًا لاستيعابه وفهمه وتطويعه بما يتناسب مع طبيعة العصر وقضايا الوقت الراهن؛ لمواجهة التحديات المفروضة على الأمة. [٩٦]

ويعرف بأنه: " إحياء وبعث ما اندرس من الدين، وتخليصه من البدع والمحدثات، وتنزيله على واقع الحياة ومستجداتها" [٩٧].

وهو يختلف في معناه عن دعاوى تجديد الدين التغريبية التي تنبذ الدين في الأصل، وتحاربه، فتتلبس بمصطلحات لها مدلول شرعي لدس السم في العسل، ومن أبرز روادها أصحاب المدرسة العقلية (المعتزلة)، والمدرسة العقلية الإصلاحية الحديثة (التنويريون ومن شاكلهم).

لكن التجديد بمعناه السليم هو ما وافق فهم السلف -رحمهم الله تعالى- وعمل به علماء كثيرون؛ لهدف إعلاء راية الدين وتنقيته من كل دخيل.

ومن أبرز المجددين في أمتنا الإسلامية الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز، والإمام الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل، والإمام ابن تيمية، رحمهم الله تعالى جميعًا.

وهو النوع الذي يسعى لإحياء الدين وبعثه وإعادته لما كان عليه السلف الأول، وسلوك المناهج السليمة لفهم نصوص الدين وتلقيها من مصادرها، ووضع الحلول الإسلامية لكل طارئ، واستنباط الأحكام لكل حادث، ويتسم بالأصالة والبعد عن كل ما يدخل على الدين ما ليس منه، وبالحذر من إطلاق المصطلحات إلا ما وافقت سلامة المنهج وعدم احتمالية الشبهة، ولم يحرص أتباع هذه الطريقة على إطلاق لفظة التنوير على حركتهم؛ لكن من جاء بعدهم واستحسن جهودهم أطلق على حركاتهم التنوير من باب إنارة الخير للناس وتأييدًا وموافقة لمنطلقهم هم في تنويرهم الإسلامي.

وتتعدد صور الاهتمام بهذا المحور؛ لكني سأقتصر على أبرزها وهو:

أ- تجديد أدوات الخطاب الديني:

وجملة القول في هذا أن الخطاب الإسلامي في الوقت الراهن، يواجه تحديات وصعوبات جمة تحتم علينا ضرورة التصدي لها ومواجهتها، بالتزامن مع صياغة خطاب يفهمه الشباب، ويقبل عليه، ويجيب على إشكالاته وتساؤلاته ويلبي طموحاته؛ وذلك باستغلال أبرز مظاهر ما يجذبهم ويلفت اهتمامهم، بل يملأ أوقاتهم، وهو التقدم التكنولوجي في مجال الاتصالات والمعلومات المتلاحقة، والفضائيات، فهذا خير من أن يتحول خطابنا الإسلامي السامي إلى تراث أسبوعي يستمع إليه كل جمعة عبر الخطب! كيف يكون ذلك ولدينا دين شامل لجوانب الحياة وكافة شؤونها. (٩٨)

فوسائل التقنية اليوم بحاجة لتكثيف الجهد وتنويع وبث الخطاب الإسلامي من خلالها، وبخاصة أن أمتنا -في جملتها ومهما اعتراها من قصور- تتمتع بالحس الديني وحب الخير، وهو ما ينطبق على الشباب؛ لكن التكرار في المواد، وعدم وجود مادة تخدم وتفهم متطلبات عصرهم، تبعدهم في كثير من الأحيان عن رتابة الطرح المكرر الذي يميل للعواطف، والتركيز على الظواهر السلبية دون غيرها.

ومن ذلك أيضًا: ضرورة إدخال تعديلات عبر مواد مساندة في جميع التخصصات ومنها الشرعية، بحيث يدرس الطالب -إلى جانب قضايا الدعوة، والعلوم الشرعية، أو الهندسة، والعلوم الإنسانية- مواداً توسع أفقه وتحيطه علمًا بطبيعة المجتمع وقضاياه المعاصرة، وهذا ينطبق على محور التأثر: " المؤثر " المعلم والمربي، أو القائد بشكل عام.

ب- الخطاب الديني والتحديات الخارجية:

كما أن الخطاب الديني المعاصر يواجه مأزقًا في التعامل مع الغرب عمومًا، من حيث طبيعة هذا الخطاب، وكيفية إيجاد خطاب إسلامي واضح، يجيد التعامل مع العقلية الغربية (٩٩)، وهذا من ضروريات الواقع المعاصر، فنحن في ظل العولمة الثقافية نتعايش مع الغرب بكافة الطرق، إما بوجود الجاليات العربية المشردة بفعل الحروب والأزمات في بلدانهم، وإما بفعل مظاهر الابتعاث، وإما بفعل وسائل التواصل الاجتماعي والإعلامي العام التي تظهر العالم في سلة واحدة، بل من طريف القول وكثير من الواقع الحديث عن تأثر بعض الغرب -وبخاصة الشباب- ببعض ما يشاهدونه من أقرانهم في الملبس والكلام والمظهر، فهذا لاعب كرة قدم إسباني يقول جملة معروفة في السعودية " هلا بالعيال "، وتلك الفتاة مغنية الراب الأمريكية مهتمة بالإسلام ومعجبة به تلبس الثوب والشماغ.. والغريب أن هذه الأمور البسيطة من العادات قادتها للإسلام وتسمي نفسها عابدة، وثالث يمشي بالشماغ، ورابع، وخامس، وهكذا! فالعالم اليوم بات أكبر قربًا.

وحملات التشويه للإسلام في ازدياد مستمر على الرغم من ذلك القرب والاطلاع على واقعه، بل حتى مع تنازلات بعض الدول الإسلامية وصناعتها لمدن تحاكي غربيتهم مع الأسف... أيضًا لا زال التشويه موجودًا.

(فلابد أن يركز الخطاب الديني المعاصر على لغة التواصل والحوار، ومحاولة فتح نوافذ في الجدار الصلد للميديا ودوائر صنع القرار في الغرب، الذي تتغلل فيها رؤية نمطية مشوهة ومعيبة عن الإسلام تمتاح من تاريخ طويل من العداء الغربي للإسلام تعود للقرن الثامن الميلادي منذ أعلنت الكنائس المسيحية أن الإسلام هرطقة انشقاقية، وبحلول عام ٧٧٨م كان العداء اللاهوتي في الغرب ضد الإسلام آخذًا في الانتشار مع بدايات ظهور مفهوم الكنيسة باعتبارها جيشًا يعسكر على أرض العالم المسيحي) (١٠٠).

وقد لعب الإعلام الغربي دورًا بارزًا في تشكيل رؤية غربية للإسلام السياسي، ونفخ كثير من القائمين عليه النيران والحرب الضروس الكاذبة في أكثرها ضد الإسلام والمسلمين؛ خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، بشهادة أهل الإنصاف من بني جلدتهم، مثال ذلك ما ذكره ليون هدار في رؤيته الأكثر اعتدالًا

وإنصافًا والأقل تعصبًا وعداء، في بحثه " ما الخطر " قائلًا: اللغة المثالية التي يصاغ بها النقد الحالي للإسلام السياسي، تخفي مصالح اقتصادية واضحة. وليس هناك كثير يربطها بالقلق على حالة الحرية في الشرق الأوسط. إن مثل هذه الرطانة تستخدم لحشد المساندة لنظم أوتوقراطية موالية للغرب، وفي رأيه أن تلك المصالح الاقتصادية هي التي تولد ما يصفه بالنفاق الغربي الذي يجعل الغرب يتشدد مع بعض النظم ويتساهل مع الأخرى (١٠١).

كل هذه العوامل التي تحمل مغالطات كثيرة ضد الإسلام تنطبع في أذهان الناس في الغرب تضاعف دورنا ومساهمتنا في بناء خطاب فاعل لا يتخذ من موقف المدافعة البحتة عن الإسلام سبيلًا وحيدًا، بل يشمل البناء الفاعل في كافة شؤون الحياة.

ج- أثر الخطاب الديني المعاصر على الشباب:

الخطاب الديني له أثره الكبير على الشباب؛ لأنهم جزء من منظومة هذه الأمة التكاملية، بل أبرز جزء فيها، ولما كان هناك بعض القصور في وقوف الخطاب الديني على كافة احتياجاتهم ومشكلاتهم، رأينا تنحي البعض عن الخطاب الديني، والتجائهم لثقافات أخرى، ولاسيما الغربية المعاصرة، وقد نحمل الخطاب الديني جزءًا من المسؤولية، ولكن نتقاسم معه الوعي في المدارس والجامعات بأهمية هذا الخطاب وأثره البالغ في تربية الأجيال، ويجب على الخطاب الديني -وبشكل خاص- مواكبة الأحداث، ومنها ما يتعلق ويدور حول الشباب، وتجنب الخط الصدامي معهم والذي يسلكه البعض من أهل الغيرة والحرص، فحرصهم محمود ولكن طريقتهم خاطئة، الشدة لا تكون في أي موضوع ولأجل أي قضية، وبخاصة أن مشروع الخطاب مشروع احتواء للشباب لا منفر أو منظر، وهذا بلا شك منهج خاطئ في كثير من جزئياته إذا التزم الخط الأحادي بهذه الصورة؛ ممّا يؤدي إلى خروج الخطاب الديني عند دائرته الواسعة لنطاق ضيق قد لا يفهمه إلا القلة منهم، وإذا كنا قد أشرنا للجانب النفسي وأثره في تحولات بعض الشباب، فغير مستبعد أن يكون أحد أسباب التحولات أيضًا هو عامل الخطاب أحادي الطرح والذي يميل للعنف أو الصدامية وفرض الرأي بالقوة، وهي وإن لم تكن ظاهرة ولكن هذا لا ينفي وجودها مع الأسف.

لكن من واقع مُشاهد، وحسٍّ تفاؤلي، أرى أن الخطاب الديني آتى ثمارَه على كثيرٍ من الشباب العربي والإسلامي، خاصة مع اقترابه أكثر فأكثر من الشباب وتطوره ومواكبته للتقنية وعدم التزامه بطريقة أحادية في الخطاب، وهذا موجود بحمد الله بغض النظر عن المطالبة بتطويره والزيادة فيه إلا أن هناك من العلماء والدعاة من أدركوا هذا الجانب ويسعون جاهدين في حمل هذا الخطاب على محمل الجد، ونجدهم في كل محفل وملتقى شبابي، ونحن نرى في وسائل الإعلام – وبخاصة المرئية منها – جهودَ الدعاة والمثقفين رواد

الخطاب الديني – أن جهودهم الحثيثة آتتْ أكلها، فنرى أعمالًا جليلة، وخدمات تطوعية، وجُهُودًا فردية وجماعية، وفنًّا إبداعيًّا، وغيرها من الأمور التي حرَّكها الخطاب الديني وكانت هذه الجهود أحد ثمارها.

فالمطلوب هو تكثيف هذه الجهود، وديمومتها وتطويرها؛ لترقى بالخطاب الديني وتجعله في استيعاب مستمرّ لكافة القضايا ومنها المعاصرة والمتعلقة بقضايا الشباب خاصة.

الخاتمة:

ختامًا: الحقيقة أن الحديث عن التحولات الفكرية، حديث يطول وذو شجون، وموضوع جدير بالبحث والمدارسة؛ لأنه من المواضيع التي تذيب القلوب الغيورة على حال الأمة، وما يحدث فيها من خسائر، وعلى كافة المستويات، ويمكن الإشارة هنا إلى أهم النتائج والتوصيات، وهي:

أبرز النتائج:

- توضيح أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة للحماية من مصائد المتغيرات المعاصرة وأن الاعتصام بهما يمثل المنجى من التحولات الفكرية السلبية بشكل عام، وأن من أسباب التحولات الفكرية السلبية: ضعف الوازع الديني وضعف التثقيف المبكر بأهمية الاعتصام بالكتاب والسنة.
- يكون الشباب صيدًا سهلًا للتحولات السلبية بسبب التربية الخاطئة المعتمدة على التبعية المطلقة والتلقي دون التشجيع على بناء الفكر والاهتمام برأي الشباب.
- إدراك السلف الصالح – رحمهم الله تعالى – لخطورة التحولات منذ وقت مبكر فتكلموا وألفوا فيها.
- لوسائل الإعلام دور كبير في الحد من هذه المشكلة أو تفاقمها.
- تقصير المؤسسات التربوية والعلمية في توجيه الشباب نحو الاتزان.
- بعض الشباب يكون تحولهم لعوامل نفسية بحتة، وبالإمكان تداركها بالرد عليه بما يزيل اللبس في هذا الجانب.
- التجديد في الخطاب الديني بما يوافق طموح وآمال الشباب، والقرب منهم وفهمهم لمحتواه، يساهم بشكل فعال في الأمن الفكري من شظايا الشُّبه والمغالطات الفكرية.
- إن النزول بالخطاب الديني لمستوى التنازل باسم التجديد والمعاصرة لا يخدمه أكثر ممّا يخذله ويضعفه.

- هناك فرق بين الخطاب التجديدي من منظور أهل السنة، وما طبقة العلماء المجددون، وبين معنى التجديد لدى أرباب العلمنة والتغريب.

التوصيات:

- لابد من عقد الندوات والملتقيات التي تحض الشباب وتوعيهم بخطورة التحولات الفكرية السلبية وأبعادها وسبل الوقاية منها.

- الاهتمام بمحور الخطاب الديني لواقع الشباب مع حفاظه على الأصالة التي تبث في المسلم روح الاعتزاز بدينه، وتعزيز ذلك في المدارس والجامعات والملتقيات الخاصة بهم.

على المدارس والجامعات إعداد برامج تأهيلية للمبتعثين، مع تركيزها على الجانب التطبيقي بمتابعة أحوالهم في الخارج، وسرعة تواصلها معهم في أي طارئ فكري يجدونه بالخارج.

- أوصي باهتمام الباحثين والباحثات بقضية التحول، وتناولها من كافة جوانبها، فالتحول متعدد العناصر منه الكلي والجزئي والديني وغيره، فلو يكتب في كل عنصر ويشبع بالبحث والتقصي؛ لكانت الفائدة كبيرة بإذن الله على الأمة عامة والشباب خاصة، مع لفت النظر لأهمية الإعلان لها بطريقة إبداعية تجذب الشباب لقراءتها، أو سماعها، بدلًا من أن تكون حبيسة جدران المرافق العلمية.

هوامش البحث:

---

(١) المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، ص٢١٥-٢١٦.

(٢) ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان الحميرى، (١٦٣٨/٣) و: المثل رقم (٣٢٣٣) في مجمع الأمثال، (٢/ ١٧٥).

(٣) ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان الحميرى ، (٣/ ١٦١٥).

(٤) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة مختار عبدالحميد عمر، (١ /٥٨٧)، بتصرف.

(٥) مراجعات الإسلاميين، بلال التليدي، ص٢٣.

(٦) لسان العرب لابن منظور، مادة فكر.

(٧) المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، ص٧٢٣.

(٨) ينظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مادة فكر.

(٩) ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي (٢/ ١٢١٨٤-١٢٨٥).

(١٠) ينظر: المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين (ص٧٢٣).

(١١) إيضاح المبهم للدمنهوري (ص١٨).

(١٢) ينظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا (٢/ ١٥٦).

(١٣) ينظر: الأزمة الفكرية المعاصرة، للجابري (ص٢٧).

(١٤) "الموسوعة الفلسفية" لنخبة من الباحثين السوفييت، (ص٣٣٣).

(١٥) ينظر: "حقيقة الفكر الإسلامي"، لأبي زيد عبدالرحمن، (ص١٠).

(١٦) المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، ص٥.

(١٧) التعريفات، الجرجاني (١/ ٩).

(١٨) المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، ص٥.

(١٩) ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي (٥/٣٦٥).

(٢٠) ينظر: تجديد الفكر الإسلامي، لمحسن عبدالحميد، (ص١٨ وما بعدها) بتصرف.

(٢١) ينظر: المصدر السابق، (ص١٨ فما بعدها)، بتصرف.

(٢٢) ينظر: مصطلح الفكر الإسلامي، لأحمد حسن فرحات، (ص٦٩٣).

(٢٣) رحلة الفكر الإسلامي، السيد محمد الشاهد، ص ٦٣.

(٢٤) نفحات من علوم القرآن، محمد أحمد محمد معبد، ص١١.

(٢٥) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني، (٦/١)

(٢٦) ارشاد الفحول للشوكاني (٢٨٦/١).

(٢٧) أصول الفقه، محمد ابو زهرة، ص٨.

(٢٨) المدخل الفقهي العام، مصطفى أحمد الزرقاء، (٩٤/١)

(٢٩) مدخل لدراسة الشريعة، عبد الكريم زيدان، ص ٢٠١- ٢٠٢،

(٣٠) مدخل لدراسة الشريعة، عبد الكريم زيدان، ص ٢٠٣.

(٣١) أصول الفقه، محمد ابو زهرة، ص٢٧٣

(٣٢) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من الأصول. للشوكاني (٢٤٨/٢)

(٣٣) ينظر فيما سبق: مدونة بشاشة – مصادر الفكر الإسلامي، http://bshashh.blogspot.com/2010/12/blog-post_4229.html ، ومقالة مصادر الفكر الإسلامي لعفاف آل حريد، https://teb21.com/article/what-are-the-sources-of-islamic-legislation

(٣٤) ينظر فيما سبق: الفكر الاسلامي خصائصه واتجاهاته المعاصرة والتحديات التي تواجهه، الدكتور علي عيسى عبد الرحمن، https://www.profvb.com/vb/t172887.html

(٣٥) أخرجه مسلم فى الحج (باب استحباب الذكر إذا ركب دابته لسفر): مسلم بشرح النووى: (٤٩١/٣)، برقم (١١٤٣)

(٣٦) ينظر: تحفة الأحوذي، شرح جامع الترمذي، لمحمد بن عبد الرحمن المباركفوري (٢٨١/٩).

(٣٧) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٢ / ١٠٤)، وتفسير الطبري (٢٤ / ١١٥).

(٣٨) الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري (١٨٩/١).

(٣٩) تحولات الإسلاميين من لهيب سبتمبر إلى ربيع الثورات؛ للهويريني، ص١٥.

(٤٠) مسند أحمد برقم (٦٩٥٨) تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤١) ينظر فيما سبق: التحولات الفكرية، د.حسن بن محمد الأسمري، من ص ٤١ إلى ٥٩.

(٤٢) ينظر: تحولات الإسلاميين من لهيب سبتمبر إلى ربيع الثورات؛ للهويريني، ص ٣٦-٣٧.

(٤٣) ينظر: تحولات الإسلاميين من لهيب سبتمبر إلى ربيع الثورات؛ للهويريني، ص٣٨.

(٤٤) رابط المناظرة: https://www.youtube.com/watch?v=cE7WnoXyv18.

(٤٥) مقابلة الأستاذ/ نواف القديمي مع موقع إخوان أونلاين. https://www.ikhwanonline.com/ بتاريخ ٢٨/ ٢/ ٢٠٠٤.

(٤٦) قراءة في الفكرة التنويرية بنسختها السعوديّة للشيخ ماجد عبدالرحمن البلوشي، https://dorar.net/article/1577 .

(٤٧) تحولات الإسلاميين من لهيب سبتمبر إلى ربيع الثورات؛ للهويريني، ص٤٤.

(٤٨) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٣/ ٢٦٧).

(٤٩) تحولات الإسلاميين من لهيب سبتمبر إلى ربيع الثورات؛ للهويريني، ص٤٦.

(٥٠) تحولات الإسلاميين من لهيب سبتمبر إلى ربيع الثورات؛ للهويريني، ص١٥.

(٥١) تحولات الإسلاميين من لهيب سبتمبر إلى ربيع الثورات؛ للهويريني، ص٦٧.

(٥٢) تحولات الإسلاميين من لهيب سبتمبر إلى ربيع الثورات؛ للهويريني، ص١٥، بتصرف.

(٥٣) تحولات الإسلاميين من لهيب سبتمبر إلى ربيع الثورات؛ للهويريني، ص٨٧.

(٥٤) تحولات الإسلاميين من لهيب سبتمبر إلى ربيع الثورات؛ للهويريني، ص٨٨.

(٥٥) تحولات الفكر والسياسة، لمحمد جابر الأنصاري سلسلة عالم المعرفة الكويت، ط١، ص٢٣، وص٤٢ وما بعدها، وص٦٦ وما بعدها

(٥٦) تحولات الفكر والسياسة، لمحمد جابر، ص٤٧ وما بعدها.

(٥٧) تحولات الفكر والسياسة" لمحمد جابر، ص٧٢ وما بعده".

(٥٨) طه حسين جدل الفكر والسياسة" لأحمد زكريا الشلق؛ خاصة: الفصل الرابع: طه حسين من التغريب إلى التوفيقية" ص١٢١-١٥٠.

(٥٩) ينظر: "رحلتي من الشك إلى الإيمان"، ص ٦، وكتابه الآخر "لماذا رفضت الماركسية؟ خاصة ص٧-٢٨.

(٦٠) في: التحولات الفكرية، د. الأسمري، ص٢٣.

(٦١) التحولات الفكرية، د. الأسمري، ص٢٣.

(٦٢) الصواعق المرسلة لابن القيم الجوزي، (٢/ ٥١٠-٥١٣).

(٦٣) التحولات الفكرية، د. الأسمري، ص٢٦، بتصرف.

(٦٤) التحولات الفكرية، د. الأسمري، ص٢٩.

(٦٥) ينظر: التحولات الفكرية، د. الأسمري، ص٢٩.

(٦٦) التحولات الفكرية، د. الأسمري، ص١٩.

(٦٧) ينظر: تحولات الإسلاميين من لهيب سبتمبر إلى ربيع الثورات؛ للهويريني، ص٢١.

(٦٨) تحولات الإسلاميين من لهيب سبتمبر إلى ربيع الثورات؛ للهويريني، ص ٢٢.

(٦٩) ينظر: التحولات الفكرية، د.الأسمري، ص ٣٨.

(٧٠) لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (٢ /٣٣٨)، (١٣٧٩) وقال: هذا إسناد صالح، وذكره ابن حبان في الثقات وصحح أبو حاتم أنه مسعود بن الحكم.

(٧١) تحولات الإسلاميين من لهيب سبتمبر إلى ربيع الثورات؛ للهويريني، ص ٢٨.

(٧٢) تحولات الإسلاميين من لهيب سبتمبر إلى ربيع الثورات؛ للهويريني، ص ٢٨.

(٧٣) ينظر: تحولات الإسلاميين من لهيب سبتمبر إلى ربيع الثورات؛ للهويريني، ص ٣٢.

(٧٤) تحولات النخب، د.محمد بن سعود البشر، ص ١٤.

(٧٥) تحولات النخب، د.محمد بن سعود البشر، ، ص١٤.

(٧٦) تحولات النخب، د.محمد بن سعود البشر، ، ص١٤.

(٧٧) تحولات النخب، د.محمد بن سعود البشر، ، ص١٤.

(٧٨) تحولات النخب، د.محمد بن سعود البشر، ، ص١٤.

(٧٩) تحولات النخب، د.محمد بن سعود البشر، ، ص٢٢.

(٨٠) تحولات النخب، د.محمد بن سعود البشر، ص٣٢.

(٨١) الحاكم في المستدرك رقم (٨٣٢٦) (٤/ ٤٧٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه،

(٨٢) الله والإنسان، د.مصطفى محمود.ص٢٣.

(٨٣) الله والإنسان، د.مصطفى محمود.ص٤٥.

(٨٤) مذكرات مصطفى محمود، للسيد الحراني، ص ٢٠٩.

(٨٥) رحلتي من الشك إلى الإيمان د. مصطفى محمود، ص ٤-٦.

(٨٦) ربحت الصحابة ولم أخسر أهل البيت، أبو خليفة علي القصيبي، ص١٤.

(٨٧) حوار مع صديقي الملحد، د.مصطفى محمود ص ٩.

(٨٨) موقف الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر من النص الشرعي، د. سعد بجاد العتيبي، ص٥٩، بتصرف.

(٨٩) لسان العرب لابن منظور، (٢/ ٨٥٦).

(٩٠) المفردات، الأصفهاني، ص ٢١٦.

(٩١) المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، ص٣١٨.

(٩٢) المفردات، الأصفهاني، ص ٢١٦.

(٩٣) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود بن عبد العزيز الخلف. ص٩.

(٩٤) رواه أبو داود برقم (٤٢٩١، وصححه الألباني سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٢/ ١٥٠.

(٩٥) تجديد الخطاب الديني، د.أحمد عرفات القاضي، ص٢٤.

(٩٦) تجديد الخطاب الديني، د.أحمد عرفات القاضي، ص ٢٥، بتصرف.

(٩٧) التجديد في الفكر الإسلامي، د.عدنان محمد أمامة، ص ١٩.

(٩٨) ينظر: تجديد الخطاب الديني، د.أحمد عرفات القاضي، ص٧٢.

(٩٩) ينظر: تجديد الخطاب الديني، د.أحمد عرفات القاضي، ص٧٥.

(١٠٠) تجديد الخطاب الديني، د.أحمد عرفات القاضي، ص٧٥.

(١٠١) تجديد الخطاب الديني، د.أحمد عرفات القاضي، ص٨٠، بتصرف.

المصادر والمراجع:

١. الإبانة عن أصول الديانة المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ) المحقق: د. فوقية حسين محمود الناشر: دار الأنصار – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٣٩٧

٢. إحياء علوم الدين المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٣. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من الأصول. للشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، تحقيق: د/ محمد شعبان إسماعيل، مطبعة المدني — القاهرة ، الناشر / دار الكتبي— القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م

٤. أصول الفقه، محمد ابو زهرة، دار الفكر العربي – القاهرة — مصر، ب.ت.ط.

٥. الأمثال المؤلف: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: ٥١٨هـ) المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد الناشر: دار المعرفة – بيروت، لبنان.

٦. تجديد الخطاب الإسلامي وتحديات الحداثة، عبدالجليل أبو المجد، عبدالعالي حارث، دار أفريقيا الشرق، ٢٠١١م.

٧. تجديد الخطاب الديني د.أحمد عرفات القاضي، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

٨. تجديد في الفكر الإسلامي، الدكتور عدنان محمد أمامة، صادر عن دار ابن الجوزي، وهو في أصله رسالة دكتوراه نوقشت عام ٢٠٠١م.

٩. تحولات الإسلاميين من لهيب سبتمبر إلى ربيع الثورات؛ للدكتور وليد الهويريني الطبعة الثانية دار البيان ١٤٣٣هـ..

١٠. التحولات الفكرية، د.حسن بن محمد الأسمري، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، الطبعة الثانية ١٤٣٦هـ.

١١. تحولات النخب د.محمد بن سعود البشر، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

١٢. حفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ) الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت

١٣. حوار مع صديقي الملحد د.مصطفى محمود دار المعارف بمصر ١٩٨٦م

١٤. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية المؤلف: سعود بن عبد العزيز الخلف المحقق: - الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

١٥. ربحت الصحابة ولم أخسر أهل البيت، أبو خليفة علي القصيبي الطبعة الأولى ١٤٢٦-٢٠٠٥م.

١٦. رحلة الفكر الإسلامي من التأثر إلى التأزم، السيد محمد الشاهد، الناشر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

١٧. رحلتي من الشك إلى الإيمان د.مصطفى محمود، دار المعارف، ١٩٧٠م.

١٨. سند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

١٩. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميرى اليمني، تحقيق: د.حسين بن عبدالله العمري وآخرين، ط١ دار الفكر المعاصر - بيروت، ودار الفكر - دمشق ١٤٢٠هـ.

٢٠. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: علي بن محمد الدخيل الله الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ

٢١. طه حسين جدل الفكر والسياسة، لأحمد زكريا الشلق — الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٩م.

٢٢. فيض القدير شرح الجامع الصغير المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ

٢٣. القاموس المحيط المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢٤. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري المؤلف: محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (المتوفى: ٧٨٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان طبعة ثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

٢٥. لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ.

٢٦. لسان الميزان المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) المحقق: دائرة المعرف النظامية - الهند الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان الطبعة: الثانية، ١٣٩٠هـ /١٩٧١م

٢٧. لماذا رفضت الماركسية؟ دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥م.

٢٨. الله والإنسان، المؤلف: مصطفى محمود، الناشر: دار الجمهورية، الطبعة: ١٩٥٧م

٢٩. مجموع الفتاوى المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٣٠. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م

٣١. المدخل الفقهي العام، مصطفى أحمد الزرقاء، ادار القلم، دمشق، ط١ ،١٤١٨هـ- ١٩٩٨م

٣٢. مراجعات الاسلاميين (دراسة فى تحولات النسق السياسي والمعرفي)، المؤلف: بلال التليدي، الناشر: مركز نماء للبحوث والدراسات، سنة الطبع: الطبعة الأولى ٢٠١٣م.

٣٣. المستدرك على الصحيحين المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠م.

٣٤. معجم اللغة العربية المعاصرة، للدكتور أحمد مختار عبدالحميد عمر بمساعدة فريق عمل، ط١ عالم الكتب ١٤٢٩هـ.

٣٥. المعجم الوسيط المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة.

٣٦. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، تحقيق: د.علي دحروج، ط١، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ١٩٩٦م، باختصار.

٣٧. موقف الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر من النص الشرعي، د.سعد بجاد العتيبي، الطبعة الثانية ١٤٣٤/ ٢٠١٣م.

٣٨. نفحات من علوم القرآن المؤلف: محمد أحمد محمد معبد (المتوفى: ١٤٣٠هـ) الناشر: دار السلام – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٣٩. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

٤٠. جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٤١. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٢. مدخل لدراسة الشريعة، د. عبد الكريم زيدان، الناشر: دار الافهام للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٢م.

٤٣. مصطلح الفكر الإسلامي، لأحمد حسن فرحات، ضمن ندوة "الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية" ج٢ معهد الدراسات المصطلحية بكلية الآداب ظهر المهراز - بفاس ط١ سنة ١٩٩٦م.
٤٤. تجديد الفكر الإسلامي، لمحسن عبدالحميد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٦م.
٤٥. كتاب التعريفات المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
٤٦. حقيقة الفكر الإسلامي، عبدالرحمن زيد الزنيدي. دار المسلم للنشر والتوزيع, ٢٠٠١م.
٤٧. إيضاح المبهم من معاني السلّم، المؤلف: أبي المعارف شهاب الدّين أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري الأزهري المتوفى سنة ١١٩٨هـ، دار البصيرة، ١٩٩٦م.
٤٨. كتاب الأزمة الفكرية المعاصرة تشخيص ومقترحات علاج. المؤلف : طه جابر العلواني. اللغة : العربية. دار النشر : المعهد العالمي للفكر الإسلامي. سنة النشر : ١٩٨٩م
٤٩. المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية) المؤلف: الدكتور جميل صليبا (المتوفى: ١٩٧٦ م) الناشر: الشركة العالمية للكتاب – بيروت، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م.
٥٠. مذكرات د. مصطفى محمود، السيد الحراني، دار أكتب للنشر والتوزيع، الطبعة التاسعة، ٢٠١٦م.
٥١. تحولات الفكر والسياسة، لمحمد جابر الأنصاري سلسلة عالم المعرفة الكويت، ط١، ١٩٨٠م.
٥٢. طه حسين جدل الفكر والسياسة" لأحمد زكريا الشلق – الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٩م.

مواقع إلكترونية:

- مدونة بشاشة. مصادر الفكر الإسلامي، http://bshashh.blogspot.com/2010/12/blog-post_4229.html .
- مقالة مصادر الفكر الإسلامي لعفاف آل حريد، https://teb21.com/article/what-are-the-sources-of-islamic-legislation
- موقع إخوان أونلاين. https://www.ikhwanonline.com/
- الفكرة التنويرية بنسختها السعوديّة للشيخ ماجد عبدالرحمن البلوشي، https://dorar.net/article/1577.
- الفكر الاسلامي خصائصه واتجاهاته المعاصرة والتحديات التي تواجهه، الدكتور علي عيسى عبد الرحمن، https://www.profvb.com/vb/t172887.html .